

# ما لم تخكك الروايات

رواية

سماح هتتام

ما لم تحكه الروايات  
المؤلفة : سماح هشام

تصميم الغلاف : أحمد حسين

الطبعة الأولى : يناير 2018

رقم الإيداع : 28664 / 2017

الترقيم الدولي : 0-212-769-977-978

جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر: أوراق للنشر والتوزيع

awraaq@live.com

القاهرة - 2 شارع شريف - الدور

الخامس - مكتب 57

م : 01010490247

ت : (02)23963002

## مقدمة وإهداء

إلى أبي وشرياني.. **هشام أبو المكارم**.. لم تكن هذه الرواية لتخرج إلى النور لولا يدك التي مددتها لي منذ البداية، منذ أن كنت طفلة تهوى «الشخبطة» وتتعلم من أبيها الذي دائماً ما تراه يكتب ما يسمى بالسيناريو، فقلدته وبدأت طريقها في الكتابة بفيلم بوليسي لم يشاهده أحد سميته باللغز العجيب.. وكان عجيب فعلاً! جريمة قتل وحاولنا البحث عن الجناة وفشلنا ثم قطعت الورق أو أضعته، لا أعلم فكنت أبلغ الـ10 سنوات فقط! ومن ثم تشجيعك لي لأشق دربي، سواء نفسيًا فكنت دائماً ما تحدثني عن عشرة الكاتب وسبل المقاومة التي تظهر متى قررنا الكتابة وعلمتني الاستمرارية رغم الشعور غير المريح الذي يراودني بأننى أريد فعل أى شىء آخر، أو مادياً لاستغلالي دار النشر خاصتك أسوأ استغلال، أكتب وأنشر وأريح كما يحلو لي دون

أي قواعد أو قوانين، أو مهنيًا.. فسببك وضعت أسس الكتابة السينمائية في محلها ومنها تعلمت كتابة الرواية وبنيتها وليست مجرد حروف تتسابق لتأخذ مكانها، أو أبوياً فكنت خير الأب والمعلم والصديق، لا تعنفي بل تناقشني، لا تبكيني بل تضحكني، لا تجبطني بل ترسم ابتسامة لامعة على وجهي متى نعني بـ«تخينة، أنت حبيبي، أم الحدود» وكانت كلماتك خير إضاءة لي في ذلك النفق المظلم «أنت هتبقى حاجة كبيرة أوي في المستقبل وهتشوفي وهفكرك، أنا فخور بيكي، الحزن هو الحاجة الوحيدة اللي بتقل مع الوقت بتهيألك إنك هتفضل زعلانة علطول، المشاكل عاملة زي الصخرة الكبيرة مع كل معافرة منك بتكسري منها حتة ومع الوقت هتعرفي تزيجي كل ده بس كمل، أنت طريقتك حلوة أوي ودمك خفيف، اقري كتير وهتبقى كاتبة كبيرة جداً».. أرجو أن تنال معافرتي إعجابك.. وأن تتذكر دائماً أن هذا الشبل من ذلك الأسد.. دمت لي بخير حال وصحة وسعادة..

\*\*\*

إلى أ.عبد المجيد عويس.. لن أنسى ما حييت أنني تكاسلت على شيء لأكثر من سنتين لخوفي وتقيدي بأشياء كثيرة.. وجئت أنت لتحررني من كل هذا العبث بجملتك التي لم تفارقني حتى أنهيت هذا العمل «اكتبي ياساح، طلعي كل الـEnergy بتاعتك

في الكتابة، أنا لو منك أكتب أكأب رواية على وجه الأرض تخلي  
الناس تقطع شرايينها منها!.. اوعي تبطلي كتابة **Keep going**  
**Keep moving forward** «كانت هذه الكلمات هي البنزين  
الذي حركني لأنها في شهور قصيرة!!! فشكرًا!

\*\*\*

إلى من لها الفضل في وجودي في هذه الحياه.. بعيدًا عن فضلها  
في حملي لأشهر في بطنها ورعايتي حتى أصبح إنسانة ذات قيمة،  
ولكنها كانت الملاذ الأخير لي من كل مخاوفي.. سواء في صغري  
عندما كنت أنهض من على الفراش لأنام بجانبها خوفًا من أي  
شء قد يفترسني في الظلام، أو بنومي دائميًا في الجهة غير المواجهة  
لباب الغرفة وتركها هي للوحش تتعامل معه بينما أنا في سلام،  
أو ببلوغي العشرين وخوفي من أن يفترس الحزن حياتي، فأكتفي  
بحضنها دليلًا آمنًا على أن كل شيء سيكون بخير..

أمي / كم كنت سببًا في معاناتك وألمك، وكم أسأت إليك ولم  
أكن لك كما كنت لي، ولكن تذكري دائميًا أنك هنا.. في قلبي، في  
المنتصف تمامًا لن تتزعزع أو تتحركي إلى أي مكان آخر.. حتى  
آخر يوم في عمري ستكونين دائميًا **The number one for me**.  
إلى حضن وسع أوجاعي.. أمي / **هيام عبد العظيم**.

\*\*\*

## لأصدقاء الدرب والطريق

إلى يد المساعدة التي استجابت دائماً للنداء ولعثرات الطريق،  
 وتحملت نداءاتي المتكررة التي لا تتوقف، لترد عليها بابتسامتها  
 الواثقة وصوتها الحنون وتغرس فيّ أملاً جديداً في الحياة بكلماتها  
 التي لم تفارقني.. إلى شجاراتنا المتكررة على تأخير الـ Seen، إلى  
 أحلامنا المتعلقة بباريس وديزني لاند، وإلى الأغاني التي تشرحنا  
 أكثر مما ينبغي، إلى دعوة أجابتها السماء وحققتها لي لأراها بكامل  
 عينيّ وحواسي.. هنا أمامي.. تتحقق كل يوم وكل لحظة.. إلى  
 مشاكلنا التي لا تعد ولا تحصى ولكنها تهون.. ويهون كل شيء ما  
 دمنا معاً.. إلى الصديقة الجميلة / **سما محمد**

\*\*\*

إلى ضحكة لم أستطع التماسك أمامها، وفرحة تذكر دموعي بأنها  
 لم تبك منذ أمد بعيد على شيء مفرح فانطلقت.. وانطلق معها  
 حزن وسع فرحتي وضحكتي وحكاياتي، إلى الأم الصغيرة  
 التي لم تتعدّ الـ 16 من عمرها، وإلى البنت العاقبة التي لم تنفذ يوماً  
 نصائحي ولكنها تحب سماعها، إلى الموهبة المنطلقة، إلى مشروع  
 الكوميديا النظيف، وإلى بئر ضم أسرارنا وخبايا لم يعرفها سوانا..  
 وإلى شجارات لا تنتهي وحب غطى كل هذا وأفاض عليه من  
 كرمه حتى يحتوي نزاعاتنا التافهة.. إلى طريق سار بنا قبل أن نسيره،

ونحن نتسامر ونناقش مشاعرنا المخبأة بداخل صناديقنا المغلقة، إلى قلب كبير احتوى الكثير من السب والقذف والإساءة التي تنم عن طبيعة واثقة وتلقائية، واحتوى قلبي وأسكنه مطمئناً.. إلى السند والدعم والجندي المجهول وراء تفاؤلي الدائم.. إلى أختي /  
**بسمه ههشام.**

\*\*

إلى طفلة لم تكبر بعد، ربما نضجت شكلاً وفكراً.. ولكن روحها حُبست عند الخامسة، تلعب وتضحك بكل تلقائية دون أدنى انتباه لشكل هذه التلقائية أو ما يترتب عليها، فقط علمت أن الحياة قصيرة.. متعبة عندما ندخل الطور العشريني من عمرنا.. فقررت التوقف عند سن الأطفال.. بكل براءة ضحكت وهرولت مسرعة إلى مدرسة الحياة.. تتناقش في دروسها وتحاول التفوق في اختباراتها لتعود إلى محملة بالأخبار السعيدة.. والواجبات اليومية المتعبة التي تحاول الاستمتاع بها قدر الإمكان.. حبيبتي.. مازال هناك قلوب كثيرة تبحث عنك.. بكل مساوئك.. بصوتك العالى.. وضحكك المبالغ فيها.. بشكلك المهدم أحياناً والمهمل أحياناً.. بكل كلماتك العبثية عندما تحاولين توضيح مشاعرك.. وما أصعب ذلك الشيء! شكراً على المشاركة، والضحكات الدافئة، وعلى تلقائيتك السخيفة أحياناً.. والمذهلة أحياناً كثيرة..

شكرًا على وجودك الدائم المنقطع.. وعلى آمنيات لم تنالها بعد..  
ولكنك على بعد خطوات منها.. أختي الأكبر سنًا والأصغر عقلاً  
وقلبًا.. ريم هـشام

\*\*\*

إلى من استحقت لقب الأخت التي تنصحني أحيانًا، ربما  
تعنفني، وكثيرًا ما تسخر مني.. ولكنها تحبني.. وتريد أن تراني  
دائمًا في أحسن حال.. رفيقة الطريق منذ أيام الدراسة الثانوية،  
وشجاراتنا التي لا تنتهي.. ثم إلى الجامعة والكلية..  
ربما تعرجت تلك الطرق التي سلكتها سويًا وأدت بنا إلى مفترق  
أبعد عنا تلك الليالي التي قضيناها سويًا نتسامر، نضحك، نثرثر  
بنميمة البنات التي نكره الخوض فيها.. ربما افتراقنا هذا لم يمنع  
تشابك أيدينا التي كادت أن تختلع من مكانها.. فاضطررنا قسرًا  
أن نتركها، ربما يؤدي مفترقنا إلى اجتماعنا مرة أخرى على طريق  
موحد لا حاجة فيه لتشابك الأيدي ما دامت قلوبنا متشابكة..  
إلى خير صديقة ونعم الأخت.. وحضن أزاح عني عبء الدنيا  
وقسوتها بكل رفق وحنان، إلى حياة بسيطة جمعتنا كيد طفل صغير  
يمسك بإصبع أمه ويظن أنه الحياة، وإلى حكايات لم تنته بعد ولن  
تنتهي أبدًا ما حيينا، إلى سخرية تهاونت في قسوة أوجاعنا، وإلى  
ضحكات كسرت جليد الصمت وجعلتنا نبوح بالضحك مرة،

وبالبكاء مرات..

إلى فتاة لن تتكرر، وذكريات سأحسبها من أسعد ذكرياتي..  
وصديقة نادرة لم تأخذ حظها من الدنيا.. صديقتي وأختي / **نهضة**  
**أمية**

\*\*

إهدائي الأخير لجمهورية المعلمين، لأصدقاء الكلية، لوطني  
البارد الدافئ، ولكل حرب قامت بداخلنا ونحن في ذروة السلام،  
إهداء إلى حب لم يكتمل.. وصدقات لم تصل لذروتها، ووجع  
كان سبباً في أن يخرج هذا للنور..

إهداء للرواية ذاتها / حمدًا لله على السلامة

عن الحياة، وعمّا طمحننا إليه سابقاً وزهدناه الآن بكل ما أوتينا  
من فقدان، وجع، واشتياق.. وأخرجناه من دائرتنا المفرغة التي  
ندور بها كل يوم، لتتوقف الدائرة عن الدوران وننزل أرضاً  
لنكتشف شيئاً واحداً..

لم يعد لدينا ما نخسره، لقد خسرنا كل شيء!

\*\*\*

### 31 ديسمبر 2017

جلست في مواجهة هذا الشاب الثلاثيني، نظرتني من وراء نظارته  
بابتسامة مزيفة اعتاد عليها بسبب عمله، اتكأت لأغرق أكثر داخل  
هذا المقعد المريح.. وبحيرة أم تحكي نفس الحكاية لطفلها قبل النوم  
يوميّاً محاولة أن تجد فيها دروس حياتية أهم من البارحة.. حاولت  
بدء تلك الحكاية المكررة بملل شديد.. ابتسمت في ارتباك..  
وأعطيته الأجنحة التي باتت صديقتي الوحيدة.. بينما استأذني في  
دقائق ليفهم المكتوب داخلها، واستأذنته أنا لأسترخي على مقعد  
الكشف الذي دائماً ما أراه في الأفلام ولم تتح لي الفرصة لأجربه

بعد.. وبمرح يخفي كآبة جذرية، مددت جسدي في استرخاء أبت أطرافي أن تطيعه، أهو برد قارص بسبب التكييف الذي ضبطت درجة حرارته على 16 درجة مئوية؟ أم أنه الخوف الذي تأكلت بسببه حياتي بأكملها يتسرب إلى جسدي عن طريق أطرافي أولاً؟ أم أنه اليأس يستقر في خلاياي بعدما استقر جسدي بأكمله على الشيزلونج في استرخاء؟

لم يكن الموضوع كما تخيلت، فهذا الشيزلونج يزيدني توترًا، ووضعية جسدي تربكني.. ها أنا هنا حيث وُضعت النهاية والحل لكل شيء، لكل مشكلة، أنا هنا حيث آلت الأمور ومالت ولم أستطع إقامتها.. أين الحل؟

وجدته ينظر لي بتفحص وابتسامة مصطنعة، يركن أجندي جانبا بعد تصفح عدة ورقات منها، ويقول بتركيز:

- عندك فكرة حياة أي بني آدم بتمشي في أنهي سكة؟

هزرت رأسي وقلت دون أدنى ترتيب:

- آه.. سكة اللي يروح مير جعش.

\*\*

## أول دروس الحياة أن تعيش

«خليك مع ربنا زي السبحة في إيد العابد،  
واستنى الحب»

الخواجة عبد القادر



### 3 مايو 2017

غرفة صغيرة اتسعت لفراش منظم، لابتوب قديم قليلاً لكنه يفي بالغرض، كومود صغير حمل من الأكواب ما لا يستطيع حمله.. دولاب فرغ من ملابس تناثرت فوق مقعد مركون.. مكتب حمل الكثير من الأوراق والصور القديمة، وحمل كرسيه نوعاً آخر من الملابس، فستان سهرة أحمر.. يبدو أنه قد مر بكل مراحل التنظيف والكي وعلى أتم استعداده لتلك السهرة.. كان غريباً أن يكون الفراش هو المكان الوحيد الهادئ من صخب الفوضى، تبع ذلك فوضى أخرى أصنعها بالبحث عن حذاء لم أره منذ الحرب العالمية تقريباً، حذاء مناسب جداً لتلك السهرة.. ولكن أين هو.. كنت أعلم أنني وضعت في أحد أركان تلك الفوضى، نعم.. ها هو تحت سريري.. خرجت من تحته أتابع الأقدام المقبلة إليّ من الصالة والتي توقفت عند باب غرفتي في صمت شديد، رفعت رأسي لأرى أمي وثيابها ملطخة بالطعام، تبدأ يومي بكلماتها العذبة التي حفظتها من

كثرة سماعها، كما يبدأ صباحي بها دائماً..  
- صباح الزفت.

أكملت وصلة كلامية لم أسمعها فقط وإنما رددتها معها، ستصرخ  
بوجهي الآن على الأشياء التي فعلتها كقذارتي وفوضى غرفتي،  
كجلوسي على الإنترنت طوال اليوم، وستنهري أيضاً على الأشياء  
التي لم أفعلها كتنظيف المطبخ وغسيل الأطباق، والمذاكرة التي لم  
أفعلها قط.. أنهت حديثها ببعض الأوامر والأفعال والجمل الخبرية  
والفعلية وكل قواعد النحو، لأرد عليها ردًا يطفئ شرارة غضبها:  
- صباح الخير يا ماما.

قالت وهي تخرج من الغرفة قبل أن تتمم بتعاويد تقريباً:  
ربنا رزق كل الأمهات بنات ورزقني أنا بسارة.

\*\*\*

سارة صلاح الخياري.. طالبة بالفرقة الثالثة بكلية تجارة شعبة  
اللغة الإنجليزية.. الكلية التي يدخلها %90 من الطلبة ليس طلباً  
للعلم، ولكن طلباً «للسقط» أو اصطيد البنات اللاتي تميزن بكل  
مقاييس الجمال العالمية، ولم أكن منهن يوماً.. كنت تلك الفتاة المحجبة  
التي تضع القليل من المكياج الخفيف وقد لا أضعه على الإطلاق،  
وأرتدي ما هو مناسب لي ولسني وأيضاً لوزني الذي زاد مؤخراً.. أنا  
هو ذاك الابتلاء الذي تدعو أمي الله - كل يوم - أن يزيح عنها.. حتى

عندما كبرت وخرجت من طور الطفولة وأصبحت فتاة عشرينية لم أكن أبداً ناضجة، لم أتصف بالعقل.. فقط الجنون والمزید منه.. جلست على فراشي الذي رتبته اليوم واكتفيت به دليلاً على أنني لست فوضوية إطلاقاً.. وفتحت صفحة جديدة أنشأتها على الفيس بوك من حسابي الشخصي، احتوت على ألفي معجب أغلبهم من أصدقائي، احترت في اسمها حتى استقررت على هذا الاسم (الموقف) - بكسر القاف - لأحكي بها كل ما أشاهده من مواقف يومية تستوقفني بالفعل وتجعلني أتعلم منها شيئاً، ناهيك عن السخرية التي تأتيني كل يوم من أصدقائي بسبب الاسم المتفعل وغير المفهوم، وكذلك كنت أنا، على أي حال.. لبيدأ يوم جديد بمنشور جديد على الصفحة:

«ليه الأمهات متدخلش الجيش؟ ويدخلوا أسلحة جديدة في الحرب زي الشيشب، وزى القرص مثلاً.. تخيلوا بنقرص العدو عشان ميعملش كده تاني».

\*\*\*

أغلقت صفحتي لأحداث (سلمى) الأقرب إلى قلبي، بئر أسراري، وكل ما ملكت في هذه الدنيا أطمئن على أن كل شيء على ما يرام، تحدثنا عن خطوبة اليوم، ومن سيأتي من معارفنا وأصدقائنا وبعض من نميمة البنات أنهيتها بسؤال:

- وزياد باشا جاي بقى ولا مقدر تيش تعرفي وأنتِ بتراقبيه في صمت؟!

(زياد) هو الشاب الوسيم المعجبة به سلمى سرًا والتي حاولت محاولات مؤلمة التقرب منه ولكنها فشلت في أن تتعدى معه مرحلة الصداقة، لتقصف هي جبهتي تمامًا:  
- لا عرفت.. جاي، وتركي كمان جاي معاه.

لم تعرف هي أن بكلمتها هذه قفز قلبي إلى حلقى لينبض بداخل رقبتي دون توقف، من تقصد بـ(تركي؟) أيعقل أن يكون الكون عادلاً لهذه الدرجة التي تجمعني به في يوم حماسي كهذا؟ أم أنها تقصد شخصاً آخر، لتؤكد لي ظنوني بقولها وهي تضحك:  
- آه هو.. الكراش.

\*\*\*

عندما دقت السادسة مساءً كنت جاهزة وعلى أتم استعدادي لهذه السهرة، سأراه أخيراً بعد غياب 13 يوم و22 ساعة.. تركي.. اسمه الحقيقي محمود تركي ولكن كعادتنا في مصر نناديه باسم الوالد مباشرة نظراً لانتشار (أحمد، محمد، محمود، وغيرها) كان مميزاً في كليتنا بملامح وجهه كالحسنة التي استقرت بجانب عينيه العسليتين، شعره البني الفاتح الناعم الذي لا يستخدم له أيًا من تلك الكريبات المزينة، لحيته الخفيفة التي يهذبها، أنفه الدقيق الرقيق.. كل

شئ ء فيه كان مميزًا، لامعًا، ممتازًا.. لم يكن (كراش) كما نعتته سلمى، كان شخصًا مثاليًا لدرجة لم تتح لي أن أقرب منه أكثر، مجرد علاقة سطحية..

أفقت من تفكيري لأجد نفسي أحتضن حذائي ذا الكعب العالي وأنا هائمة في عالم آخر، وظهرت أمي فجأة مرة أخرى لتمنحني دعمها النفسي المعتاد وتخبرني أن سلمى قد وصلت بالتاكسي تحت المنزل وفي انتظاري لأذهب معها، أخبرتني في رفق ألا أتأخر إلا إذا أحضرت معي عريسًا.. لتتحول ملاحظتها من الاشمئزاز إلى الابتسامة اللامعة التي لم أرها سوى في عين أمي، احتضنتها وذهبت مسرعة لتتحول مرة أخرى:

- الجزمة يا متخلفة، هتنزلي حافية!!

\*\*\*

كانت القاعة بعيدة عن تلك المنطقة التي أقطن بها.. شبرا، وكانت سلمى تسكن على مقربة مني بمسافة بسيطة فانفقنا أن نذهب معًا ونقابل شيرين هناك لأنها تسكن قريبًا من مكان القاعة، فدائمًا ما تجتمع شلتنا في مثل هذه المناسبات (أنا وسلمى، شيرين وناهد) أما في الأوقات العادية أجتمع مع سلمى وننسى البقية.. لم تكن (شلة) كما أطلقنا عليها بالمعنى الحرفي للكلمة.. مجرد أصدقاء.. ركبت لأجد سلمى تنتظرنى بالسيارة وقد طغى اللون البنفسجي

عليها، كم كانت جميلة تلك الفتاة التي امتلكت قلبي، مثالية بروحها وقلبها قبل جسمها.. كانت حلم أي رجل يريد الارتباط الشكلي والعاطفي والحقيقي.. جسمها متناسق لا تحتله دهون زائدة في غير محلها، طولها مناسب ليست قصيرة ولا طويلة، عيناها بنية، تمتلك شفاه رقيقة تليق بأي لون من ألوان المكياج، ملاحظتها تبدو أجمل بدون مكياج ولكنها دائماً ما تضعه، محجبة وتحب الحجاب رغم روعة شكلها بشعرها الطويل الذي يصل لمنتصف ظهرها، ترتدي ما ترتديه فيصبح ممتازاً ومثاليًا عليها، كذلك الفستان الذي ترتديه الآن، غازلتها بمداعبتي المعتادة، لتضحك هي وتحتضني حضناً سريعاً، والسيارة بدأت تتحرك متجهة إلى قاعة الفرح، بينما سلمى مازالت تخبرني بمكر أن شكلي اليوم سيثير إعجاب الجميع بمن فيهم (تركي)، ومن هنا انفتحت نافورة نميمة لم ننهها إلى أن دخلنا إلى القاعة.

\*\*\*

تجاوز نظري جميع الأضواء، الروائح العطرة المنطلقة من مختلف النساء والرجال، الفرحة العارمة التي يضج بها المكان، والأغاني الصاخبة التي تعلن بدء عالم آخر.. التفكير هو السيد الأول فيه، تجاوزت عيناى كل ذلك لترى شخصاً واحداً لمحتة عن بعد.. تركي.. كان في كامل أناقته في بذلة سوداء اعتلاها بيون زاده جمالاً،

أظنه كان يلعب من بعيد، وكأن هناك هالة تكونت حوله، يضحك بصوت عالٍ، يمرح ويداعب أصدقاءه الرجال.. والبنات!! وهذا ما أسقط في قلبي وخزاً لا أعرف سببه.. ظهرت على وجهي علامة ظنها الناس توتراً أو خجلاً.. وسميتها أنا غيرة!

لم تكن الفتاة ذات الفستان الزهري غريبة عليّ، ربما لمحتها في الكلية أو أنها كانت معنا في الـ...

- شيرين!! دي شيرين اللي واقفة مع تركي أهى تعالى نسلم عليهم..

أطلقتها سلمى كالسهام في قلبي، وقبل أن أغرق في دور الضحية، اقتربت لأسلم عليها.. كانت شيرين تتحرك بكعبها العالى برشاقة كأنها حافية القدمين، بينما كدت أن أتعرثر بحذائي ذى الكعب القصير، لم أستطع إنكار الحقيقة، شكلها اليوم أجمل مني بمراحل.. حاولت التحدث بشكل طبيعي وأنا أنظر إليها في توتر، قبلتها قبلتين باردتين، وعيناى مليتان بتساؤلات لم تفهما سوى سلمى، التى قررت أخذ شيرين والاستئذان ليذهبا قليلاً وتركني مع (تركي) وحدنا، لعلّ تلك العقدة المأساوية المسماة بالحب من طرف واحد تنحل، تحدثنا قليلاً عن أخبار الكلية، كان لطيفاً جداً حتى عندما قال:

- عقبالك يا سارة.

قالها بابتسامة وهو يشير إلى ناهد التي دخلت مع عريسها للتو إلى القاعة وفرقة الطبول ترفهم بالأغاني التراثية.. كانا رائعين ومتألقين، فهي ترتدي فستاناً رقيقاً من اللون الأزرق اللامع مع بعض لمسات الورود عليه، وشعرها البني الذي رفعت خصلاته لأعلى لتضع فوقه تاجاً رقيقاً.. وخالد الذي يرتدي بذلة زرقاء أيضاً ولكن من الدرجة الداكنة وبتسمة ابتسامة من أمسك بيديه العالم وامتلكه، لمعت عيناها فقلت بحب دون أن أنتبه:

- عقبالنا.

لمحته بطرف عيني ينظر لي بدهشة، ففهمت ما فعلته للتو بغبائي، عضضت شفتي في حرج ونظرت له في محاولة فاشلة لإصلاح الموقف:

- عقبالنا.. اوعدنا يارب بخطوبة حلوة زي دي، وناس كثير تفرحلنا كده.

ابتسم في محاولة منه للاقتناع ثم تحرك في اتجاه العروسين دون استئذان، وتركني في إحراجي الذي ملأ علي المكان ووجهي الذي زاد الأمر سوءاً وقرر أن يبكي الآن!

وجدت من يربت علي كتفي ويضحك من منظري، إنها رانيا تقف أمامي وتخبرني أن أيام الكلية مرت سريعاً وها نحن نحضر خطبة أعز أصدقائنا، حمدت الله على أننا في موقف يستدعي البكاء،

وحمدته مرة أخرى أننى شردت وأنا أنظر للعروس أو تحديداً لمن تركني وذهب في اتجاهها، احتضنتني وكأنها ضغطت على زر البكاء المفرط، حاولت التماسك ولكن فشلت وتركت دموعي تنزل في سلام، بينما دخلنا في دوامة من الكلام عن الماضي والعمر الذي يجري كالقطار ولا يلحق به أحد، كانت رانيا من أصدقاء الكلية، ولكن من النوع الذي سمّيته (أصدقاء اللحظة)، هؤلاء الأشخاص الذين يظهرون في حياتك في لحظة معينة ويختفون في بقية اللحظات، موقف صعب، فرحة عارمة، ستجدهم يخرجون من اللامكان ويكونون بجانبك، يساندوك، ثم يختفون عند انتهاء اللحظة، ليجهزوا للحظة أخرى مهمة عند شخص آخر وهكذا، لم أحب هذا المبدأ في الصداقة ولذلك اعتبرتها فقط شخصية لطيفة أقضى معها الوقت كلما أتحت لي الفرص واللحظات.

أخذنا الحوار حتى نسيت دموعي، أضحكتني هي عدة مرات عندما لاحظت حزني وبكائي، أثنت على شكلي؛ لإعجابها به مرة، ولتمنحني الدعم مرة أخرى، ولكن لم ينسَ عقلي ما حدث للتو، أنقذتني سلمى من ثرثرة رانيا عندما جاءت إلينا وسلّمت على رانيا بحرارة، واستأذنت لتأخذني بعيداً بعدما انتهت فقرة الأحضان والقبلات التي نضيع بها - نحن البنات - نصف أعمارنا، أخبرتها بما حدث وبعثتني بالغبية، واتفقنا على أن نتجاهل تركي حتى يمضي

هذا اليوم بسلام.. لم يكن أمامي أى خيار سوى أن أظهر ما لا أشعر به، وأشعر بما لا يراه الناس، على أي حال.. إنها ليلة واحدة وستمر.

\*\*\*

كانت ناهد متألمة، ملاحظها البريئة المزيينة، وكان خالد مثلها تمامًا من ذلك النوع الروتيني الممل، ولكن نوعًا ما كانا يليقان ببعضهما البعض.. حتى أسسائهما لم تكن لتعبر أبدًا عن شباب في مقتبل العمر! ولهذا رأى الجميع أنهما خلقتا من أجل أن يكونا سوياً.. قصة حب طويلة دامت ثلاث سنوات منذ أن دخلنا الجامعة، ومرت الأيام بسرعة وها هما يحفران قصة جديدة ناجحة من قصص الارتباط

العاطفى الذي يفشل فيها أغلب جيل القرن الـ21

جلست أتأمل أصدقاءى والبنات من معارفى فى الكلية بشكل عام، هؤلاء البنات الذين اختلفت أشكالهن.. واتحدت مشاعرهن اليوم.. بالفرحة والغيرة، فقط لا غير.

كانت شيرين نشطة تتراقص هنا وتضحك هناك، لم أستطع معاتبها أو حتى الفضفضة معها، فهي لا تعرف أى شىء عن مشاعرى تجاهه، ولم يكن هناك فرصة أبدًا لتعرف.. فحياتها مزدحمة بآلاف الأصدقاء والمعارف، أغلبهم من الرجال ليس لغرض معين غير أنها لا تترتاح فى التعامل مع بنى جنسها، فهي دائمة ترى أن التعامل مع الجنس الآخر أسهل بكثير من التعامل مع البنات، لم يكن لديها

وقت أبداً لسماع شكوى إحداهن أو حل مشكلتها، حتى في الكلية لم نكن لنجلس معها دقائق حتى يرن هاتفها بأي مكالمة تأخذها منا، ولكن لأننا اعتدنا على وجودنا نحن الأربعة بالشلّة فكنا نفتقدها، نسأل عليها بين الحين والآخر، نحضر سوياً لتلك المناسبات ثم نختفي من حيوات بعض مرة أخرى، لذلك لم تكن لتهم بمثل هذا الأمر غير الجلل، بغض النظر عن أنني لم أكتشف بعد ما الذي كانا يتحدثان فيه بكل هذه الأريحية، سألت نفسي آلاف الأسئلة الغبية، وسحقت نفسي في تخيل إجاباتها ولم أجد إجابة واحدة ترضيني..

الغيرة.. تلك المشاعر التي تفتحمك وتجعلك تكره وتحب وتضحك وتغضب في آن واحد، تملك كل شيء ثم تشعر أنه يتسرب من داخلك بمنتهى الرفق والقوة، تطرح بداخلك مختلف الأسئلة غير المنطقية بالمرة ولكنك تجارمها وتجب عليها فتستشيط مرة أخرى، ومن بركان إلى بركان حتى تجد نفسك خطراً على المجتمع ويستحسن أن يسجنوك في محمية طبيعية قبل ارتكاب أي جريمة، ثم تكتشف بعد كل ذلك أن هذا البركان ليس له أي أساس من الصحة، وأنك كنت مخطئاً.. أيهدأ البركان؟ أم يثور مرة أخرى لغبائه؟

\*\*

- تحبي ترقصي معايا؟

نظرت ورائي لأجده هو، يمد يده في حركة درامية استهلكها  
المخرجون ليصنعوا أفضل الأفلام ولم يتركوا اللواقع شيئاً يذكر،  
دقائق من السكون لم تطاوعني فيها يدي التي امتدت لا إرادياً  
لتمسك بيده وتنتهي تلك الليلة بأجمل مما تمنيت بكثير.

\*\*

تفوه فمه بأولى الكلمات فأخبرني أنها المرة الأولى التي يراقص  
فيها فتاة لا يعرفها، من الواضح أن معارفه من الراقصات كثر! بينما  
بدأت الأغنية تشرح كل ما فشلت ألسنتنا في شرحه

**If I should stay**

**I'll always be on your way**

ابتسمت فرحة وتركت يده تتحرك على جسدي تراقصني في  
حلم أشبه بالخيال، حاولت أن أنطق ولكن كلما أتذكر غبائي منذ  
قليل أصمت تماماً.. ابتسمت وأنا أنظر للأرض في خجل بينما هو  
مازال يتحدث:

- أنا أول مرة أشوف بنت محجبة وحلوة كده.. أنتِ غيرتِ  
نظرتي عن الحجاب!

\*\*

صعقت عندما سمعت هذه الجملة، وكأني لم أنتبه من قبل لما  
يحدث الآن، كلماته جعلتني أفيق لأكتشف نفسي في أحضان رجل

غريب.. أسمع كلامًا أموت شوقًا لسماعه، وأتحدث بعينيَّ مع شخص لا أمتُّ له بصلة، ولكن قلبي يمتُّ له بكل الصلات، غاب قلبي وتسارعت دقاته، واستيقظ ضميري لأرى خيالات لأمي وأبي يقفان أمامي في خجل من منظري.. يشيحان بوجهيهما بعيدًا عني في عدم تصديق لهذا الكم من الخذلان، يعود قلبي ليشاهد كل هذا ويخبرني أن هذا ما احترقنا إليه شوقًا، وليس من المنطقي أبدًا أن أفسد هذه اللحظة أو أعكر صفوها لمجرد أنني أحافظ على عادات وتقاليد لا أؤمن بها، ليعود العقل ويطر حني أرضًا بأسئلته وأحكامه، حرام.. ذنب.. خائنة للثقة.. تحضين رجلًا أجنبيًا.. العادات والتقاليد.. المجتمع.. تركي.. لحظة حاملة.. أغنية لا تكف عن الصراخ.. إضاءة مسلطة علينا.. نحن في منتصف الحرب ولا نستطيع العودة إلى ديارنا الآن.. هذا عشق مشروع.. لا هذا هو العشق الممنوع.. تمامًا كالمسلسل.. لا لن أفعل هذا مجددًا.. ارجعي أدراجك.. ماذا لو كان لا يجبك على الإطلاق؟.. يتلذذ بضعفك وحبك وسيتركك في أقرب فرصة.. دائمًا ما تخذلين الجميع.. عار.. حب.. اشتياق.. سأعود لهذا الوجود مجددًا.. حب لا أحصل عليه.. اشتياق لما ليس ملكي.. وربما يحدث الآن قبلة حارة تنهي هذا المشهد الرومانسي... قبلة؟!!!!

أفقت من تفكيرى على ذروة تلك الأغنية تعلن انتهاء الرقصة

And I'll always love you

لأجد يديه تحتضنني بكل قوة لتجعلني أميل يسارًا بينما هو يدور ليقبّلني... في جيبني!!

نظرت له كمن هي عارية في منتصف الطريق، تلتحف بقبلته التي أشعلتها حبًا ودهشة، أكملت صمتي بصمت آخر.. نظرت حولي أشاهد ردود أفعال الجميع.. ووجدتني أنا وهو فقط من نرقص بجانب العروس، لاحظ الجميع تألقنا في منتصف القاعة فقرروا الاكتفاء بالمشاهدة، نظرت لى ناهد بفرحة وهي تعود مرة أخرى للكوشة، بينما رانيا تقف مع صف المشاهدين وتصفق معهم بحرارة وكأن ما فعلناه للتو مدهشًا.. وشيرين التي نظرت لى حائرة ومندهشة مما حدث فدائمًا ما كانت تصفني بالمعقدة.. وبين كل ذلك اختفت سلمى عن الأنظار.. لاحظت كل هذا في نصف الدقيقة.. نظرت له مرة أخرى وملاحي بين الفرحة والضيق، الحزن وعدم التصديق، ليختم هو كلامه:

- بتعرفي ترقصي حلو أوي

ويصفق لي بسخرية بينما يتجاوب معه الحاضرون.. لأعود أخيرًا لرشدي وأتركه وأنا شاردة، وأنطلق خارج القاعة بحثًا عن شيء ارتاح بداخله، سلمى!

\*\*

وجدت ملاذي الأخير في الحمام الذي سيخفيني عن كل العالم،

وقفت أمام المرآة أتخسس كل جزء في جسمي لمستته يدها، نزلت دموعي رغماً عني، نظرت للحجاب الذي غطى شعري ولم يستطع أن يغطي مشاعري التي تولت عجلة القيادة بدلاً مني اليوم، تحسست جيني الذي قبله بنعومة ونظرت لنفسي باحتقار ممزوج بفرحة، هل سمحت له بذلك؟ أو هو من خطفني من كل شيء وفعل هذا رغباً عني؟ والسؤال الأهم أين سلمى الآن؟! وقبل أن أتصل بها فُتح باب الحمام لتخرج سلمى وقد احمرّت وجنتاها من فرط البكاء، نظرت لي في دهشة كمن نظر في مرآة.. وقبل أن أسألها عن أى شيء سبقتني في الحديث:

- إحنا لازم نمشي..

\*\*\*

أخفينا آثار الوجع بذلك المكياج المزيف، وانطلقنا إلى خارج الفندق دون وداع لأحد.. وركبنا لنعود كمن خسر المعركة الكبرى، كمن خسر الحياة بأكملها بموقف.. صمتنا قليلاً وصممت أن تبدأ هي بالسرد، عساي أفهم ما الذي جعلها بهذه الحالة..

كانت سلمى قد أخذت شيرين بعيداً عنا حتى أتمكن من التحدث مع تركي بمفردنا.. وقفا مع إسلام وزياد.. إسلام كان صديقاً مقرباً لشيرين وسلمى، وزياد الذي كان صديقاً لسلمى أيضاً وحبیبها الذي لم يشعر بحبها يوماً، دردشا معاً ثم استأذن لي يجري

مكالمة مهمة أخبرها عنها كثيراً ولم يخبرها عن ماهيتها، فقط مكالمة مهمة ستحدد مصيره وأشياء من هذا القبيل.. حينها لاحظت سلمى أن تركي بمفرده، فجاءت إليّ وقررت أن تنقذ ما تبقى من عقلي الذي استحوذت عليه رانيا بشرئتها، تحدثت معي وتركتني عندما رأت زياد يدخل إلى القاعة وقد أنهى مكالته، ليخبرها عن آخر خبر أرادت أن تسمعه في حياتها كلها..

- خطب!

\*\*\*

بعد وصلة من السباب التي أطلقتها على زياد، أكملت سلمى حكايتها، فقد نجحت أن تخفي مشاعرها بأعجوبة وباركت له في فرحة مزعومة، واستأذنت منه لتختبئ في الحمام وتبكي دون توقف، ختمت كلامها فقالت:

- دخلت الحمام قبل ما تيجي الرقصة السلو ويطلب مني نرقص وأكسفه..

- نعم! هو مش اتنيل خطب؟ رقص إيه بقى؟  
حاولت أن تشرح لي الأمر فقد فعلاها من قبل مرتين ولم يكن هذا بالأمر الجلل بالنسبة لهما، ولكنني توقفت عند هذه النقطة لأحول مجرى الحديث تمامًا:

- من أول مرة رقصت معاه وأنا ابتديت أحس أني.. ببحه..

- احكيلى بقى كنت حاسة بإيه لما رقصتِ معاه.

لتنظر فى عيني مباشرة:

- على أساس إنى مش حكيالك الموضوع ده 100 مرة قبل كده؟ وخطيه وكتيبته فى صفحتك بأسلوب so romantic أوي يعني؟!

نظرت للأرض وحاولت تجميع الحروف:

- آه.. عايزة أسمع تاني.. عايزة أعرف كنت حاسة بإيه لما حط إيده على جسمك كله ورقصتوا؟

- مالك يا سارة؟!

نادتني باسمى لأرتجف وكأنه قد قيل فى محضر بالقسم!، كانت ك(وكيل النيابة) يسأل ويتفحص الأمر ويحقق دون رحمة.. هو فقط يريد إجابة عن أسئلته، أخبرتها ما حدث منذ أن تركتني وحتى أنهيت تلك الرقصة، وعيناها تتسع بدهشة وفرحة لكل تلك التفاصيل الغريبة، ولكنها صُعبت من هذه النهاية المفتوحة.. كادت أن تسبني ولكنها تماسكت وقررت أن تحادثني بهدوء:

- كنتِ بتفكري فى إيه وأنتِ بتسيبيه وبتمشي؟!

- كنت بفكر فى بابا وماما، الحلال والحرام، وحاجات كتير كسرتها ومشيت وراقلي وخلاص.

لتهز هي رأسها كمن هو ملّ من سماع أسطوانة مشروخة لا

تكف عن الصراخ:

- يعني بالراحة وبالعقل كده، تجيلك الفرصة لحد عندك وترفضيها، ترفصي النعمة برجليكي

لأنور أنا كمن أخذ إشارة بالثورة:

- نعمة إيه يا سلمى؟ نعمة في إن واحد معرفوش حكها معايا وأنا وافقتة؟ ولا إنه كان فرحان إنه بيرقص مع بنت محجبة؟ عشان خلاها تعمل آخر حاجة تفكر تعملها قدام الناس!

لترد بصبر وهي تحاول احتواء الموقف واستيعابه:

- يعني أنت زعلانة إن ده حصل؟ ولا إنه حصل قدام الناس! لم تكن لدى إجابة ولكنى لست بالمثالية الكافية التي ستميل للاختيار الأول.. لم أرد فاستطردت هي بسخرية:

- يعني أنت دلوقتي سندريلا اللي مشيت وسابته من غير ما تتكلم عشان الساعة دقت 12!

نظرت لها بعصبية فحاولت أن تصلح ما قالته بنصائحها الحكيمة:  
- أنت عايزة تفهميني إن باباكي ومامتك مكانوش بيعملوا كده أيام الجامعة؟!

لأصمت أنا تمامًا ونكمل طريق العودة والسيارة مغلقة بالصمت والنظرات، وتأمل الشوارع والمحلات.. أسئلة وجودية.. مواقف ماضية يستدعيها عقلنا لنضحك ونخفف حدة الأمر.. وهدوء يحل

على المكان والشوارع.. إنها الثانية عشرة بعد منتصف الليل.. حيث يتحول كل شيء من النقيض إلى النقيض.. وتظل مشاعرنا كما هي لا تتغير.

\*\*

## 7 مايو 2017

انقطعت عن الـ Social Media لأيام لانشغالي بالبحث عن أى عمل يخرجني من دوامة الملل التي تصيبني عند الاكتئاب، لم يكن العمل غرضه الربح فقط ولكن كان سببه الرئيسي هو الوقت الذي أضيعه بالتفكير في أمور لا تجدي نفعًا، وهكذا كنت أحاول البحث عن عمل من المنزل نظرًا لظروف الكلية والامتحانات.. جلست طوال اليوم على مكتبي أفكر وأرسل سيرتي الذاتية لبعض الشركات، رن هاتفي عدة مرات، تركته فوق فراشي ولم أبالِ به، فقط أتطلع لأرى المتصل فضولاً ليس إلا..

مللت من ذلك اليوم فجلست أشاهد فيلمًا قديمًا من الأفلام العربية التي صنعت قبل عصر كاميرا الألوان.. كم أعشق هذه النوعية رغم كل ما بها أحيانًا من تكلف ولكنها نوعًا ما عبرت عني وعمّا أعانيه دائمًا..

شاهدت فيلم (الباب المفتوح) لأفضل قليلاً عن التفكير في العمل والإيميلات وملء السير الذاتية بكلام كاذب.. واندجت

- بالفعل حتى جاء المشهد الذي أغرقني في نوع آخر من التفكير بين فائن حمامة وصالح سليم.. ليصعقني بكل حرف قيل فيه:
- حسين، أنا كنت فاكرة إن أنت سافرت.
  - مقدرش أسافر من غير ما أشوفك، أنت لسه مخاصماني؟ ما هو لازم حاجة من اتنين يا مخاصماني يا خايقة مني.
  - وهخاف من إيه؟
  - سؤال وجيه، الواحد بيخاف من شخص تاني ليه، إما إن الشخص ده مؤذي أو إنه خايف يجبه
  - أنا عمري ما هحب حد.
  - متأكدة؟!
  - طبعًا متأكدة.
  - أنا شخصيًا مش متأكد.
  - قصدك إيه؟!
  - قصدي إنك هتحبيني.. هتحبيني أنا، هتصحي في يوم الصبح وتكتشفي إنك بتحبيني
  - هههههههههه.
  - بتضحكي على إيه!!؟
  - ياريت يكون عندي ثقة في نفسي زيك كده يا حسين.
  - مش فاهم حاجة.

- إيه اللي مخليك متأكد بالشكل ده؟ زي ما يكون أنا شخصياً  
قولتلك إنى بحبك.

- الحاجات دي الواحد مبيقولهاش بلسانه قد ما بيقولها بعنيه.

- وعنيا قالتلك إيه بقى؟

- كفاية إنها مبتلمعش إلا ليا أنا بس.. كفاية إن وشك مبتنوروش

الابتسامه إلا ليا أنا بس.

لم أتعجب حين بكيت بشدة، واكتشفت أشياء كثيرة في الفيلم  
الذي يبعد عني بسنوات طوال وأجيال كاملة.. أفتقده!! بكل ذرة  
في..

أوقفت الفيلم لأرد على هاتفي بعد عدة مرات من تجاهله.. إنها  
سلمى، لست في مزاج جيد للنقاش الآن، سمعت هي صوتي الباكي  
فقلت:

- طب فهميني طيب حصل حاجة؟!

لأنفجر فيها دون مبرر واضح:

- هو اللي حصل مش كفاية عشان أزعل؟! أنا بيعط عشان

أنا مش على هواه، هو بس حب يكسر الحتة اللي شايفها عزيزة فيا  
ومخيلاني حاسة إنى مختلفة.. خلاني سهلة وحسني إنى رخيصة  
واستغل ضعفي.. ده وأنا بمشي مقاليش استني.. مبعتلش رسالة  
واحدة يطمئن عليا يعتذر يقول أي حاجة.. أنا طلعت رخيصة يا

سلمى وضيعت نفسي عشان حاجة فاشلة اسمها حب ..  
- سارة ممكن تهدي بس ومتكبريش الأمور، أنت محسساني إنه  
اغتصبك! ده رقص معاكي زي ما حصل مع كل صحابنا ومش  
كلهم مرتبطين، أنا بقولك أهو رقصت مع زياد قبل كده ومشفتهاش  
جريمة.

أشعرتي كلامها بغضب يصعد لقلبي ليحرق الأخضر واليابس  
واندفعت بكلماتي التي دائماً ما أندم عليها:

- وأنا مش زي حد يا سلمى .. وأنت المفروض أكثر واحدة عارفة  
ده .. أنا عمري ما رضيت بالمتاح ولا وافقت على أى حاجة لمجرد إن  
الكل وافق عليها .. آه أنا شايفه ده رخص وقلة أدب ومش مشكلتي  
إن اللى حواليا مش متمسكين بأي مبادئ وعائشين سهلة، أنا مش  
رخيصة يا سلمى عشان أوافق أخلى حد يلمسنى ويحرق الحدود اللى  
حطاها لنفسي، لمجرد إنى حبيته!!

وأخذ الحديث مجرى آخر .. تماماً:

- سارة!!! خلى بالك من كلامك .. تقصدي إيه!  
- مقصدش يا سلمى أنا بتكلم عن نفسي، أنا مجتث جنبك،  
سيبيني دلوقتي ولما أبقى كويسة هبقى أكلمك.

- ماشي يا سارة زي ما تحبي، بس عايزة أفهمك حاجة، الصح  
والغلط حاجة نسبية ملهمش مقياس، لا عادات ولا تقاليد ولا

عرف بيحددهم وإلا كان وأد البنات لحد دلوقتي هو الصبح!، قبل ما تحكمي عالناس (العادية) وتفكري إنك (مختلفة) عنهم اعرفني إن دي مجرد وجهة نظر.. وإن ممكن عادي جداً تطلعني في الآخر أنتِ اللي غلط.. كلنا بشر يا سارة.. فلو هتختلفني عن البشر ياريت متحكّميش عليهم إنهم عاديين عشان حبوا نفسهم وقبلوها زي ما هي.. ربنا يريح بالك.. هكلمك بكرة أطمئن عليك.. سلام.

لهذه الأسباب لا أرد على الهاتف!

لأنني الوحيدة التي تعرف إلى أي مدى قد يدفعني غضبي وانفعالي، ولا أحد يفهم تلك الحالة سوى.. حتى سلمى.

فتحت صفحتي الخاصة بالفيسبوك كانت هناك رسائل من أصدقاء الكلية الفضوليين يسألونني عن ذلك اليوم اللعين ومنهم شيرين التي اتصلت أكثر من مرة على الـ Messenger وأرسلت أكثر من رسالة فضولية تطفلية لتفهم مني ما حدث ليلة أمس وتساءل عن تلك الرقصة التي فضحتني، لفت انتباهي رسالة من حساب مزيف صعقتني «شفتك يوم الخميس في خطوبة ناهد وكنت بترقصي مع تركي.. أمال ليه عاملة فيها معقدة ومبتكلميش ولاد ولا هو حلال ليه وحرام علينا.. عامة خليه ينفعك ولو إني كنت عايز أرقص زيه كده وأحضن وأحسس وأبوس.. بس معلش نصيب».. غصة في حلقي، ودموع تجمعت لتسبب انهيارني بعدما اعتقدت أنني

أقف على أرض صلبة.

لم أرد على الرسالة وانهرت في البكاء، لأدخل بعدها على صفحة «الموقف»، شاهدت تفاعل الناس مع الصفحة الذي كان أشبه بالميت منه إلى الحي.. لم أهتم كثيرًا وكتبت منشورًا جديدًا:

«كفاية إنها مبتلمعش إلا ليا أنا بس، كفاية إن وشك مبتنوروش الابتسامه إلا ليا أنا بس.. قد إيه الكلام حلو.. ياريت كل كلمة بنقولها تبقى بنفس الإحساس ده، أعتقد إن اللي كتب فيلم الباب المفتوح لو كان عارف إنه هياثر فينا لحد دلوقتي، وهيخليني أعيط مع كل مشهد فيه، كانوا عملوله 3 أجزاء مثلاً!!..»

اتفرجوا على أفلام أبيض وأسود كثير»

وضغطت على زر النشر ومن ثم شاركته على صفحتي الشخصية لأعمم ما قلته.. ولم أرد على رسالة واحدة فقط خرجت من الصفحة بسلام.. وظل الـWhatsapp هو التطبيق الوحيد الذي أفتحه يوميًا.

\*\*\*

12 مايو 2017

مرت الأيام ولم أنزل إلى الجامعة خوفًا من نظرات الجميع، فقط أجلس بغرفتي أشاهد الأفلام، أسمع الأغاني، أكتب أحيانًا، أفكر

كثيراً..

تحدثت إلى سلمى بعد ذلك اليوم واعتذرت لها عن طريقتي غير اللائقة، وكعادتها تناست الموضوع ليمر الأمر علي كلينا بسلام.. كانت سلمى في ذلك الوقت لا ترد على مكالمات زياد إلا نادراً، لا تبكي ولا تحزن فقط تحاول تجاهله والتحجج بالكثير من الأعذار حتى ينساها ويذهب إلى من اختارها قلبه، حاولت إقناع نفسها أنها تناسته تماماً ولكن كان الأمر يفشل عندما كان يجدد محاولاته في الوصول إليها باتصال، مكالمة، أو رسالة تجعلها تنغرس في التفكير مرة أخرى، ولكنها كانت أقوى من تلك التفاصيل.. وحاولت تجاوز الأمر كما تفعل دائماً، أما عن الكائن المدعو بـ«تركي»، فلم يحدثني من حينها وكان شيئاً لم يكن، مر نحو أسبوع ولم يفكر في الاتصال بي، أفنعت نفسي أنه لا يكن لي أي مشاعر على الإطلاق وإنما الأمر ببساطة مجرد قضاء وقت فراغ فشلت إحداهن في ملئه.. فملأته أنا، وانتهى الأمر.

ربما نظن أحياناً أن هناك بدايات جميلة تبدو مثالية لا تشبه أي بداية أخرى، وعندما نقرب.. نحترق.. نكتشف أنها كانت مجرد نهاية مزيفة، ونقتنع بالأمر الواقع.. ألا وهو.. ما أجمل البدايات وما ألعن النهايات مهما حاولت أن تتجمل!  
تركت الروتين يستولي على يومي، أستيقظ وبداخلي صراع لا

ينتهي.. الإفطار الذي تحول لكوب من النسكافيه فقط لا غير.. لاحظ أهلى استمرارى على هذا النمط من الانعزال، الطعام الذي لا يدخل فمى إلا قليلاً، لم أعد أشار كههم أى شىء كما كنت أفعل، انطفأت ضحكى سرياً بعد صفحات عدة.. من بدء تلك الرواية!

\*\*\*

تقدّم أبى نحوى بهدوء خشية أن تزعجنى خطواته وقال:

- فى حاجة مخبياها على بابا حبيبك؟

- لا والله يا حبيبى مفيش، أنا بس دماغى وجعانى وبحاول الأقى

شغل.

لينظر لى طويلاً وكأنه يعلم ما بي جيداً، ويقبل جيبى، ويخرج دون أن يتحدث، كان أبى - رغم ضخامة جسمه وشعره الذى زينته خصلات بيضاء زادته وقاراً - حنوناً جداً، دائماً ما كنت أطلع أهلى على مشاكل الخاصة وكل تفاصيلى، لم يعتادوا أبداً أن أخفى عنهم شيئاً إلا إذا كان كبيراً ويرهقنى الحديث والتفكير فيه، كما هو الحال الآن.. لذلك تيقنا أن الموضوع ليس بهين على.. ولم أكن أنا لأتحمل شرح الأمر وتحمل عواقبه بأن أكون دائماً فى نظرهم خائنة للثقة، ومتحررة بشكل مبالغ فيه.. لم يكونا أبداً ليتفهما مثل ذلك الأمر المسمى بالحب.. ربما أحبا شخصاً أيام الجامعة رغم شكى فى ذلك، ولكن كان زواجهما من نوع «الصالونات» زواجاً تقليدياً لا مشاعر

تكونت فيه إلا بعد نشأته سميت بالتعود أو العِشرة.. فالتزمت الصمت.. الكثير من الصمت..

\*\*\*

## 15 مايو 2017

عدت من عزلتي قليلاً.. فتحت مواقع التواصل الاجتماعي، رددت على الرسائل كلها بإجابات صريحة لا تزينها المجاملة.. نزلت إلى الجامعة أياماً قلائل تجاهلت فيها أى شىء قد يحزنني من جديد.. حتى اعتدت الأمر قليلاً، وكعادة الأشياء.. عندما ننساها تأتى إلينا بإصرار!

رسالة جديدة من (محمود تركي) تسارعت نبضات قلبي لتكشف لي فشل الزمن في إيقاف الشعور الذى اخترق كل جزء من روحي.. فتحتها لأجدها صورة لنا معاً عندما كنا نرقص في الحفلة.. وأرسل رسالة أخرى بعدها:

«الصورة دي جت لي النهارده من المصور، بتعرفي ترقصي حلو أوي، وكان يوم حلو، أتمنى يتكرر تاني من غير ما تسيبيني وتجري»  
ليعود كل شىء داخلي كما كان مسبقاً.. تشتت.. وجع.. صمت..  
شروود تام.. أفكار متداخلة.. والمزيد من التفكير.. والنسكافيه...  
بعدها عرضت الأمر على سلمى التى فاجأتني أنها سمعت بعض البنات يتحدثن في الكلية أنه فعل ما فعله في السنة الماضية مع أكثر من

بنت.. وأن لا مكان للمشاعر في هذا الموقف على الإطلاق.. وبعدها وضحت الرؤية أننا في منحدر هالك تمامًا.. أنهيت الموضوع بلهجة حاسمة، أخبرته عن كل شيء لا أريد فعله على الإطلاق، وعن أن هذه الليلة كانت كثيبة بالنسبة لي، واعتذرت اعتذارًا مهينًا أنني سمحت لنفسني بتلك الرقصة معه، وبلطف طلبت منه أن ينساني وينسى كل ما يتعلق بي وكأن شيئًا لم يكن.

ليصمت تمامًا كمن يتوقع الرد.. فتحت الصورة أناملها لتزيدني إرهاقًا وتفكيرًا.. أنا في كامل أناقتي وفتانتي الجميل أضع يديّ على كتفه وأنظر له في عينيه نظرة شاردة ولا معة.. وهو يتسم ابتسامة لم تخل من الانتصار وكأنه يزهو بامتلاك المزعوم.. يضع يده على خصري وكل من حولنا قد توقفوا عن الرقص ليشاهدونا في ذهول (سارة) الفتاة المحترمة أو المعقدة كما تقول لي شيرين.. ترقص مع شخص لا تعرفه وفي عينها نظرات حب لا تستطيع إخفاءها.. راودتني شكوك عدة أنه سيستغل الصورة ولكن نفضت هذه الأفكار بعيدًا عن رأسي، فأنا أكثر من يعرف تصرفاته من كثرة مراقبتي له.. هو فقط كان يريد تجربة الأمر وقد جربه، وباء بالفشل لي وحسبت له نقطة في صالحه، ولكن لسبب ما أردت الاحتفاظ بتلك الصورة فحفظتها على اللابتوب وحاولت تجاهل ما حدث.

\*\*

## 16 مايو 2017

دخلت أُمِّي في هذا اليوم الذي امتنعت فيه عن الطعام لمشاهدتي مسلسل «الخواجة عبد القادر» كانت تحمل صينية امتلأت بأطباق الطعام وضعتها أمامي على المكتب، فأوقفت الفيلم لأحاول مجاراتها: - إيه الدلع ده كله؟

لتنظر لى بلوم، ضحكت وأنا أحاول مجاراتها وأنا أتناول الطعام، أخذت كرسيًا وجلست في اتجاهي، ونظرت إلى بعينين متسائلتين.. لم أستطع منع نفسي من سؤالها ذلك السؤال الذي راودني أيامًا: - ماما.. أنتِ عمرِك ما عملتِ حاجة غلط بشكل متعود تيش عليه؟ أنا عارفة إن كلنا بنغلط، بس عمرِك عملتِ حاجة غلط غريبة عليكِ لدرجة إنها فضلت تطاردك في كل حته وفضلتِ مكسوفة منها؟

نظرت لى أُمِّي بريية وحاولت أن تتذكر شيئًا قد يزيح عني تلك الغمة:

- آه.. أنتِ عارفة إنى قبل ما أتجوز أبو كي كنت عايقة.. قالتها وهي تستطرد في الحديث والضحك معًا، عن كمال صديقها في الجامعه الذي انجذبت له لخفة دمه وشكله الذي تميز بالسمنة المفرطة، كما انجذب لها هو أيضًا، وكعادة الأمهات اللاتي يبالغن

في سرد الماضي، تقبلت ذلك بصدر رحب وتركتها تكمل ما بدأتها:  
- ووافقت أخرج معاه ونحب في بعض في السر.. وفي يوم سافرنا  
إسكندرية لوحدنا من غير ما حد يعرف، وركبنا مركب هو اللي كان  
سابقها، وقال هير جعني بالليل على المعاد اللي بتخلص فيه محضراتي.

- وبعدين؟

ردت أمي بكل برود:

- خطفني.

لتتسع عيناى فى دهشة ويرتفع صوتي:

- نعم!!!!!!

انتفضت أمي ذعرًا وأغلقت الباب جيدًا حتى لا يسمعنا أبي:  
- وطى صوتك هتفضحينا.. مش هحكى حاجة خلاص أنا  
غلطانة!

نظرت لها بعتاب:

- ما تحكي بقا مانتي خلاص قولتي.. كملي والنبى.

وابتسمت هي وأكملت فى تردد.. تحول إلى شغف:

- لقينا نفسنا فى عرض البحر وهو مش عارف الطريق إزاي،  
وكل ما أقوله إحنا فىن يقولي قربنا، وعاملك مفاجأة.. بعدها بشوية  
قالى إننا توهنا، بس المهم إن إحنا مع بعض..  
صمتت هي انتظارًا مني أن أفهم ما حدث بذكائى، قلت

وما زالت عيناى تتسع :

- وعمل إيه؟!

- حاول يعني .. إنه يعني ..

- يغتصبك؟!

- عليكى نووووور .

- يا نهار أبيض يا ماما!!!!

- وطى صوتك!! اصبرى بس .. هو بقى حاول يحضنى ويوسنى

وكده وأنا روت مخصووضة ومن خضتى زقيته ووقع فى البحر .

انطلقت ضحكاتى بصوت عالٍ وأنا أتابع حكايتها بشغف :

- أنا كنت بعرف أعوم وكنت بتمرن من ورا أمى عشان كانت

بتشوفها غلط وعيب، خدتها عوم لحد ما وصلت للشط، رجعت

البلد تانى بسرعة وبيت عند خالتك صفاء .

مازلت مستمرة فى الضحك حتى رأيت فى عينيها نظرات انتصار

من أخرجت منى ضحكة رغبًا عن أنفى .. فسألته بفضول :

- طب وهو عمل إيه؟

لتردهى بكل برود :

- الله يرحمه، كان تخين غرق ومات .

بدهشة شديدة لم يخلُ منها الضحك :

- مات!!! يعني أنتِ كنتِ السبب فى موته؟!

- لا كنت أسببه يعمل فيا اللي هو عايزه بروح أمك؟  
ضحكت مرة أخرى وأنا أسألها:  
- طب حسيتي بإيه لما عرفت؟  
- عادي زعلت وحسيت بالذنب شوية.. وكنت بفوق نفسي لما  
أفكر إنه كان وسخ.. بس عارفة أكثر حاجة تعبتني إيه؟  
لأصمت أنا وتصيب هي مقصدي:  
- إن إيديه ولمسته وحضنه علّموا فيا، عمري ما نسيتهم.. كنت  
أول مرة أعرف يعني إيه ضعف قدام لمسة.. جسمي فضل فاكر  
الحكاية دي شهور.. مهما نسيتها بعقلي.. جسمي فضل فاكرها..  
دارت عيناى شروداً بينما هي أكملت:  
- لحد ما ربنا كرمني بأبوكي واتجوزنا وطبعاً أبوكي ميعرفش  
حاجة عن الحكاية دي..  
نظرت لي بريبة واختمت كلامها:  
- مش عايزة يعني وجهة نظرك فيا كماما تتغير بعد الحكاية دي.  
احتضنتها بقوة وأنا أضحك ضحكاً ممزجاً بدموع لم تظهر بعد،  
أخر جتني من حضنها ونظرت في عيني مباشرة وهي تقول:  
- كلنا بنغلط، مفيش غلطة كبيرة وغلطة صغيرة.. وربنا دايمًا  
موجود عشان يفوقنا في الوقت الصح.. حتى لو هيفوقنا بوجع بس  
المهم نفوق..

ومسحت بيدها على خدي دمعة لا تراها وأكملت:  
- خليكي فاكرة إن غلطة الشاطر بألف.. فلو وقعت وقعة كبيرة  
اعرفي إنك كنت شاطرة لفترة طويلة أوي.. وفلتت منك حاجة على  
قد تعبك، غلطي آه.. بس هتصلحي الغلط ده بأحسن طريقة أنا  
واثقة.

وخرجت لتتركني وحدي، وملاحي تبسم، تضحك، تشرد، ثم  
تبكي.

«أنت عايزة تفهميني إن بابا وماما مكانوش بيعملوا كده أيام  
الجامعة»

ظلت تلك الجملة تتردد على مسامعي من كل اتجاه، بعدما حكت  
أمي لي ما فعلته عندما كانت مراهقة، ربما كانت سلمى محقة.. كلنا  
بشر وكلنا نخطئ.. وربما لا يكون الخطأ إلا صواباً متعثراً.. ربما..  
ومن الذي أعطى الحق للأم أو الأب أن يوجها أو لادهما للصواب  
والخطأ إن كانت المسألة نسبية!؟

ولم يلومانا على ما فعلاه بأنفسهما مسبقاً، وإن عاد بهما الزمن إلى  
الوراء لربما فعلا ما فعلاه مجدداً!؟.. لم لا يتركانا فقط نعيش كما نريد  
ونفعل ما نشعر به.. دون قيود؟

والكثير من الأسئلة التي لم تهدأ يوماً في عقلي..  
وبالرغم من أنني قد تميزت بأب حنون وأب متفهم.. وطفولة ناعمة

خالية من الكوارث أو العنف نظرًا لأنني ابتتهم الوحيدة.. لكن هذا لم يمنع أبدًا الوجه الآخر من الظهور في الوقت المناسب، ورغم أنهما يفهما نني إلى حد كبير.. يشاركانني كل تفاصيلي، يشجعانني على أي فكرة أحبها.. ولكن إذا ذكر الحب أو الارتباط.. فهما آخر من أفكر بمشاركته هذا الأمر القبيح المخزي الفاضح - من وجهة نظرهم -!

\*\*\*

## 18 مايو 2017

في إحدى جلساتي مع نفسي صارحتها بما أحتاجه، بما أشعره.. كنت أشاهد هذا المسلسل (الخواجة عبد القادر) استوقفني فيه مشهد أجبر دموعي على الانزلاق:

- وين السبحة الي اديتها ليك..

- سبحة.. أهى..

- قلب بني آدم زي السبحة، وإيد ربنا ماسكاه، وكل لمسة..

بنور.. وحب.

- الحب؟ الحب حاسه قليل أوي.

- مو قليل.. الحب مالي الدنيا والآخرة.. أنا جيت ليك قبل ما

أسافر.. عشان أقول ليك.. امشي ورا قلبك..

- ادعيلي شيخ.

- ربنا ما يقطع نظره عنك يا خواجه، ويرزقك بالي في بالك..  
خليك مع ربنا زي السبحة في إيد العابد.. واستنى الحب.

\*\*\*

أفتقدك يارب.. كم هي صعبة الحياة بدون رضاك.. لم أحاول  
حتى الاستغفار.. أو أن أفتح صفحة جديدة بيضاء معك.. كنت  
أشعر دائماً أن هناك وخزاً في قلبي لا ينزعه سواك.. لا ينزعه سوى  
ذلك الظلام الذي أظلم به غرفتي وأفرش الأرض بسجادة الصلاة  
وأقف بين يديك في العتمة لا أرى شيئاً سوى نورك غير المرئي،  
أبكي.. وأحكي.. وأشكي لك دون أن أخاف من ردة فعل أو من أن  
تأخذ عني فكرة سيئة.. ولست بشخص سيئ يارب..

أخذتني الدنيا عنك.. وأذنت ذنباً لم يره سواك، رغم علم الجميع  
به، كان بالنسبة لهم شيئاً مدهشاً مذهلاً.. لم يسبق له مثيل.. وحدي  
أنا من رأيت به أباً لمعصيتك.. وحدي من رفضت التقاليد والعادات  
عن عمد وتمسكت بمبادئ دينك ولكنني أفلت كل هذا رغماً عني..  
أفتقد شعور اللذة الذى دائماً ما تشعرني به عندما ترضى عني،  
والآن لا أجده في أى مكان، قلبي أصابته الوخزات وطغى عليه اللون  
الأسود.. وروحي تتماسك رغماً عنها حتى تأذن أنت لها بالخروج..  
وعيني لا تستطيع البكاء في حضرة وجودك، تخجل أن تشكي لك  
شيئاً يغضبك وكأنها لا تدري أنك تعلم كل شيء، ويديا ترتعشان

وأحتاجك أن تشد عليها.. فقط اكتفيت بـ يارب عوناً لي.. فهل  
تستجيب رغم فعلتي؟ هلا ساعدتني؟  
\*\*

## 20 مايو 2017

بعد كم الأحداث المتداخلة التي حدثت في هذا الشهر، أرسلت  
لي سلمى رسالة جعلتني أدرك أن لا مكان للحزن أو الانعزال بعد  
الآن، لا بد من مواجهة هذا العالم بكل ما فيه من سوء.. جدول  
الامتحانات!

أهذه صدفة أم أن الامتحانات دائماً ما تأتي عندما يصيبنا  
الاكتئاب؟ ولكنني تأكدت أن أحد أعراض الاكتئاب: الامتحانات،  
وليس العكس!

أخذت نفساً عميقاً إجبارياً لأنهي تلك الرحلة الكئيبة وأعود مرة  
أخرى إلى سارة الحقيقية التي عرفها الجميع.. وكتبت آخر ما يخص  
تلك الفترة على صفحتي التي ازداد عدد معجبيها إلى ألفي ونصف..  
«خليك مع ربنا زي السبحة في إيد العابد، واستنى الحب..  
الخواجة عبد القادر»

نشرتها وبدأت صفحة جديدة من حياتي، راضية بكل ما فيها من  
منغصات، يكفي أنها بيضاء..

\*\*\*\*\*



## العقل السليم فى القلب السليم

«What if I can't hum on key?  
What if my melodies are the  
one no body hears? »

13 Reasons Why



## 15 يونيو 2017

«النسيان مش دوا، النسيان مية بنبلع بيها أي حاجة مش عجبانا، كده أو كده هنضطر ندوقها، لو مش بمزاجنا يبقى غصب عننا، أول ما نعطش لأي ريق حلو ساعتها بس هنقرر نشرب مية، الحاجة الوحيدة اللي لازم ندوقها ونبلعها، عاجلاً أم آجلاً، عشان الحياة بتستمر، وهتستمر».

### #الموقف

أحاديث.. ثرثرة.. خيالات لا يراها سوانا، وأصوات تهمس لنا لترشدنا أو تضلنا عن الطريق، ونحن من نختار.. إما أن نحدثها جهراً حتى نختل، أو أن نشاركها على صفحاتنا اليومية بمعجبيها الوهميين، ليتفاعل أحدهم ويخفف عنا الأمر.. يضغط زر الـ Like ليخبرنا أننا لسنا وحدنا ممن فقدوا عقولهم في هذا العالم اللعين، وأن هناك من يشاركنا هذا الأمر برمته.. وإن لاذ صمتاً، واكتفى بضغطه زر.. لنعرف..

نعم، نحن بائسون.. ولكننا لسنا بمفردنا، أبداً.

\*\*\*

## 16 يونيو 2017

آخر أيام الامتحانات وأول أيام الإجازة، كانت الساعة الحادية عشرة ظهرًا عندما أنهينا ذلك الامتحان ومكثنا في الجامعة لساعة تقريبًا نودع زملاءنا ونلتقط بعض الصور مع مجموعتنا الدراسية وما إلى ذلك من الطقوس السنوية، وبعدها ذهبنا أنا وسلمي وشيرين وناهد لنخرج إلى أى مكان ربما نشاهد فيلمًا في السينما أو نذهب إلى أحد المطاعم.. ولكن الأهم هو تجمعا الذي لم يحدث منذ شهرين.. تسامرنا في كل شىء، حدثنا ناهد عن أيام الخطوبة وكيف تعيش أيامًا سعيدة مع خالد برغم تقلباته المزاجية ونزعة التحكم والتسلط - وإن كانت بسيطة - التي تميز أغلب الرجال الشرقيين.. وشيرين التي لم تكف عن مغامراتها العاطفية مع كل رجل وجد فيها أنوثة قوية ولمحة من شخصية طموحة مجنونة لا تخشى شيئًا.. وعن سلمى التي تجاوزت أمر زياد بل كانت تنفر من تصرفاته بينما هو لا يبالي على الإطلاق بجرح مشاعرها كل لحظة بالحديث عن فتاته الجميلة سمر، تساءلت وأنا أعبت بهانفي إذا كانت سمر هذه معنا في الكلية، بينما اكتفت سلمى بهز رأسها نفيًا ولم أرها بسبب انشغالي في رسائل صفحتي الموقف، تركتهن يتحدثن بينما لذت أنا بالصمت فقررت شيرين أن تحيدني عنه تمامًا:

- عملتِ إيه مع تركي صح يا سارة؟!  
تركت الهاتف تمامًا وأنا أنظر لها في تعجب وأقول:  
- عملتِ إيه في إيه?!  
ليكمل فضوها المتطفل أسئلته:  
- يعني ارتبطتوا؟ ولا أنتوا كنتوا مرتبطين أصلاً؟ كلمك تاني ولا  
لأ؟  
حاولت أن أتمالك دقات قلبي السريعة أو علي الأقل دموعي الخامدة  
في انتظار إشارة الانفجار.. بينما قالت سلمى قبل أن أفتح فمي:  
- ما أنتِ عارفة تركي جنتل إزاي ومتربي بره مصر، فعشان كده  
عرض عليها ترقص معاه، لكن لا ارتباط ولا بتاع.  
هزرت رأسي في موافقة مستغيثة بذلك الرأي الذي لم أقتنع به على  
الإطلاق.. بينما شيرين ما زالت تكمل أسئلتها دون رحمة:  
- بس معلش يا سارة أنتِ مبتوافقيش تمسكي إيد حد من صحابنا  
تسلمي عليه.. تروحي ترقصي معاه وتخليه يحضنك ويوسك قدام  
الناس!  
بينما توقف الكلام في حلقي أنا وسلمى، وحاولت ناهد إنقاذ  
الموقف قبل أن يصبح مأساويًا:  
- شيرين!! سارة مبتحبش تتكلم في الموضوع ده!

قلت وأنا ألتقط ما تبقى من أنفاسي:

- لا سييها عادي أنا مش مضايقة، تقدري تقولي إني مبقتش معقدة،  
وكمان يا شيرين أنا عارفة أنا بعمل إيه كويس، متقلقيش عليا..  
ثم غيرت الموضوع في براءة:

- وكمان يا بنات.. أنا سنجل حتى الموت وأنتوا عارفين الموضوع  
ده، أظمن عليكو الأول في بيوتكو وبعدين أشوف نفسي.

انعطفت أرجلنا يميناً لنكمل الشارع المؤدي للسينما ونحن  
نضحك بهيستريا ضحكات مرتابة، لا يعلم بحقيقتها سوانا.. وقبل  
أن أحكم على حسن أو سوء نية شيرين تذكرت ما قلته لنفسي وكتبته  
على صفحتي بالأمس «النسيان هي الحاجة الوحيدة اللي لازم ندوقها  
وهنضطر لده عاجلاً أم آجلاً.. عشان الحياة تستمر.. وهتستمر».

اختلطت أحاديثنا وضحكاتنا وأصواتنا في منتصف الطريق الخالي  
من أى إزعاج.. لدرجة جعلتني أنفصل عنهم وأمشي بمنتصف  
الطريق بمنتهى الطفولة، فقط لأستنشق بعض الحرية.. حينها لمحت  
بعيني سلمى شيئاً لم أفهمه، ربما قلت شيئاً عثياً أو... لا أعلم..  
نظرات تحذيرية أو ربما معاتبة.. لم أفهم حتى لماذا أشاحت بوجهها عني  
في اتجاه اليسار.. كانت عيناها تتسع بشكل غريب، ربما لأنني وضعت  
ساعات الأذن للتو وتركتهن في أحاديثهن المملة، أعلم أنها تكره هذه  
العادة ولكن تلك الأغنية كانت مزعجة وصاخبة لحد كبير.. لدرجة

أننى لم أسمعها ولم أفهم إشاراتنا.. حتى عندما اتجهت إليّ بسرعة تزيح بذراعيها ناهد وشيرين اللتين كادتا يسقطان أرضاً وتتجه إليّ في حركة سريعة جعلتني أنخيل أنها ستمر من خلالي!

نزعت السماعات في فزع من منظرها الذي لم يكن أكثر فزعاً من صوت بوق السيارة الذي مر خلال أذني مختلطاً بصوت سلمى «حالاً اسبي»!

نظرت إلى يساري فرأيت سيارة مسرعة أكثر من دقائق قلبي المرتجفة، وسرعان ما ارتطم جسدي بها وقفز إلى الجهة الأخرى من الشارع.. وغرقت في دمائي.

غبت عن العالم لفترة أخذت فيها أفكارى اللامتناهية وأصوات البنات يستغثن بالنجدة ويحاولن إفاقتي بينما أنا قررت إيقاف الزمن تماماً.. أذنى لا تسمع الآن سوى هرولة أقدام فضولية ومنقذة، وبعض من البكاء.. وصوت سرينة الإسعاف يعلن إنقاذ الموقف.. ولا شيء بعد ذلك.. وعقلي يجد الإجابة التي كنت أبحث عنها دائماً لذلك السؤال اللعين، ويلقنني إياها قبل أن أعيب تماماً عن الوعي.. هذا هو ما نحن مقدمون عليه.

بينما قلبي لم يكف أبداً عن المعافرة والنفض من أجل لا شيء.. حقاً لا شيء.

\*\*

اهتمام مبالغ فيه لطالما بحثت عنه، تفيض أعينهم دمعاً.. فرحين بأنني مازلت على قيد الحياة، سلمى كانت تقف على يساري تمسك بيدي لتمنحها الحياة أو ربما كانت تستمد الحياة منها.. وعلى طرف السرير جلست ناهد تنظر إليّ وتتحسس بعينها ملاحي المنهكة، وشيرين التي جلست على كرسي استقر عليه نظري أمام فراشي نهضت من عليه لتطمئن عليّ، بينما انتقل نظري لأمي وأبي على يميني، محتوياني بنظراتهما.. وبين كل ذلك.. مازلت لم أفهم شيئاً مما حدث..

انتبهت إلى ذراعي الذي لا أشعر بوجوده ملتقاً بالأشرطة والشاش يغطيان طبقات من الجبس بداخلها.. وقدمي في حال أحسن منها قليلاً.. قلت في توتر وصدمة:

- هو إيه اللي حصل، أنا جيت هنا إزاي؟

لتحكي سلمى:

- جيتي هنا عشان مسطولة.

بدأت البنات يتساءلن عن حالتي وعمّا أشعر به، بينما كنت لا أشعر

من الأساس، لترد أمي ختاماً:

- خلاص يا بنات اللي حصل حصل، المهم إنها بخير.

ثم تنظر لي بتوسل.. وتقول:

- مش أنتِ كويسة؟

أمسكت بيدها وابتسمت وأنا أطمئنّها، أنني بخير، عدا تلك

الأشرطة الطبية والصداع الذي أكل نصف مخي، ليدخل أبي ومعه الطبيب المختص بحالتي.. ويخبرني أن على الالتزام بالأدوية والمكوث في المنزل حتى تهدأ تلك البثور والجروح التي ملأت وجهي إن لم يكن جسمي كله، على الأقل شهرًا حتى أستطيع ممارسة حياتي الطبيعية مرة أخرى، وأنها جلسات العلاج الطبيعي بعد فك الجبس لاحقًا.

نظرت في المرأة أبحث عن ملائكتي التي لم أتميز بسواها.. لم أجدها.. لم أجد سوى تشويه لكل طفولتي وبراءتي.. ملاحي التي لم تعرف سوى الابتسامة اللامعة.. تلمع الآن حزنًا ووجعًا.. قبل أن يغطي كل هذا جروح وبثور ستستغرق شهرًا لتعود ملاحي كما كانت.. وتركني كما أنا.. لا أعود إلي.. أبدًا..  
إجازة سعيدة!

\*\*\*

لم أدرك وقتها أن هذه السلسلة من المتاعب قد بدأت، وأن جوانب حياتي تتلاشى واحدًا تلو الآخر بمثل هذه السهولة، وهذا ما أدركته لاحقًا.. أما عما أدركته الآن، فهو أن هناك المزيد من المتاعب تكفي الجميع، وما علينا إلا أن نغترف غرفة أخرى من مساوي الحياة بكامل إرادتنا..

أما عن الحياة.. فتتنفسها لتملأ رئيتنا بعوادمها وأمراضها.. ليتراكم كل هذا ليشكل قوة هائلة قادرة على هزم الحياة نفسها التي تنفسناها

للتو رغماً عنا، فقط لأنها موجودة.. فقط لأنه يجب أن نتنفس.

\*\*\*

## 18 يونيو 2017

بعد خروجي من المستشفى عدت إلى غرفتي التي افتقدتها بكل فوضويتها، نظرت لأمي التي استندت عليها حتى وصلت لفراشي وأنا أضحك:

- الظاهر ده ذنب الأوضة اللي متنضفتش، مش ملاحظة كل ماجي أنضفها تحصل حاجة!

تبتسم وتلاحقني بالرد وهي تساعدني في الجلوس على فراشي:

- ولا يهملك يا حبيبي، أنا هرتبهالك.. ارتاحي أنتِ بس.

ونظرت للابتوب الذي هممت بفتحه وقالت في غضب:

- ممكن ترتاحي بقى وكفاية انت اللي وداكي في داهية ده!؟

نظرت لها بضجر ممزوج بضحكتي التي لم تفارقني بعد، قلت

ساخرة:

- خلاص بقى يا منى، مش همسك موبايل تاني وأنا في الشارع، بس

دلوقتي أنا في بيتي على سريري، مفيش قطر هيعدي من هنا متخافيش.

لترت هي عليّ وتتجاهل مزحتي السخيفة وتخرج لتحضر لي بعض

الطعام الصحي غير اللذيذ على الإطلاق.. بالرغم من أن لا علاقة بين

هذا وبين مرضي من الأساس.. ولكنها أمني.

\*\*\*

فتحت صفحتي على الفيسبوك لأجد عشرات الرسائل بعد انتشار خبر الحادثة.. إنه التواصل الاجتماعي.. ذلك الانعزال الذي نعيشه كل يوم تحت مسمى التواصل.. لم يكن أبداً اجتماعياً، وإنما كان هروباً إلى العالم الأكثر راحة.. كذبنا على أنفسنا.. ووعدناها وحثنا بوعودنا معها.. لا لم نتواصل أبداً مع ذواتنا.. لم نتواصل أبداً مع العالم بل اختبأنا.. اختبأنا من عالم كثرت خطاياها وآذانا قبل أن نؤذي نحن أنفسنا.. اختبأنا خلف شاشات مضيئة تظلم ما تبقى من قلوبنا.. وتشتت عقولنا بين أخبار كثيرة متداخلة لا دخل لنا بها.. فقط لنعلم أن هناك متسعاً في رثينا.. للحياة..

ولذلك تنفسنا الافتراضية واستنشقتنا الأوهام.. واندمجنا معها.. تلك الكذبة التي انطلت علينا فصدقناها ولم نستطع أبداً مواجهتها.. عالمنا.. مؤلم حقاً، عالمنا.. ما هو إلا هروب من أشياء افتديناها، وظهرت أمامنا مرة أخرى بكل عشوائية مرعبة..

نحن.. متألون.. موجعون.. تضربنا الآلام وتؤلّمنا الوحزات.. ولا يفيقنا من هذا إلا هروب مؤقت.. لعالم الـ Facebook وما ورائه.

\*\*\*

اقرب أبي مني برفق ليحتل جانباً من فراشي، ويسألني وهو ينظر

في عيني مباشرة:

- حاسة بيايه؟!!

لأقول في سخريه اعتدتها وافتقدتها:

- قول مش حاسة بيايه!

ربت على كتفي في لوم فهمت معناه ولكنني تجاهلته، وقال:

- جبتلك الأدوية.

تنهد أبي قليلاً وقال:

- متمسكيش الموبايل ولا تحطي الساعات طول ما أنت ماشية في

الشارع تاني ممكن؟

ابتسمت بمشقة وأنا أومئ برأسي إيجاباً، بينما تنهد أبي وكأنه يريد قول شيء آخر.. تحركت شفتاه ببطء وتردد ثم تراجع، والتزم الصمت.. فقط نظر إلى نظرات لوم طويلة غير مفهومة.. ثم تركني وخرج من الغرفة دون أن ينطق بكلمة.

رغم تعجبي لنظراته، ولكنني لم أهتم.. وأكملت تصفحي على الفيسبوك وسمعت بعض الموسيقى التي تشرحنا أكثر من الأغاني بقصصها المتعددة.

تصاعد سلم الموسيقى ليزعج تفكيري ويريح قلبي.. وتناغم قلبي مع أنغامه.. وبدأت بالانسجام.. مع تلك الموسيقى..

**Yanni – Nostalgia**



## 25 يونيو 2017

مرت عدة أيام وأنا أتنقل تائهة بين أقراص الأدوية والمسكنات والعلاج الطبيعي، أضيع وقتي على الإنترنت وفي كتابة خواطري على الصفحة التي ارتفع تفاعلها مؤخراً عندما وضعت عليها صورتي بذراعي المختبئ داخل الأشرطة والجبس، أشاهد الأفلام حيناً، أحداث أصدقائي حيناً.. ولا أتحرك من مكاني أبداً.. وفي نهاية هذا الأسبوع الكئيب طُرق باب غرفتي، لتدخل سلمى عليّ بباقة رقيقة من الورود البيضاء وتنظر لي في براءة وهي تقول:

- هنفضل عيائين كده كثير ولا إيه!؟

اتسعت عيناى وحاولت النهوض من على فراشي بصعوبة بينما هي أسرع وأت لتجلس جنبي، أخذت منها الورد وأنا أضحك وأتجاهل كلاً من هاتفي واللاب توب وأندمج معها.. بعد أيام طويلة من الوحدة.

استهلكنا وقتنا في ثرثرة البنات غير المفيدة التي افتقدتها على أي حال، بعض من النميمة غير المقصودة على كل من نعرفهم، وبعض التفكير والخيالات التي لم تكف عن مطاردتنا قبل أن نطاردها نحن، حتى تطرقنا للحديث عن زياد وتركي، عندما سألت سلمى عن آخر

أخبارها مع زياد:

- عادي يا سارة أنا نسيت الموضوع أساسًا.

لأنظر لها نظرة ثابتة تجعلها تضحك رغمًا عنها وأنا أقول:

- على ماما يا بت؟

لتنهد وتقول بأريحية وبساطة شديدتين:

- سارة.. زياد ده مكانش حب ولا حتى تركي ده أنتِ حبيته، ده

اسمه كراش، إعجاب، تعلق.. الحب لما يبجي هتعرفيه وهتقولي ده

أول حب في حياتي..

فركت يديّ وتحركت عينا في كل مكان لتستقر عليها بطفولة

وقلت:

- يعني تركي مكانش حب؟

لتهز رأسها نفيًا وهي مبتسمة، فأسألها مرة أخرى:

- ولا كريم؟

لتهز رأسها مرة أخرى وهي تقول:

- ده بقى متكلمتيش معاه ولا مرة وكنتِ مستياه يحبك ويبجي

يعترف

لأكمل دون اكتر اكرات بردها:

- ولا أمجد؟

لتقول هي:

- أجد ده عرفك من عالفيس وكان يسأل عليك وكلامكو دايمًا  
بيتهي بـ «يارب دايمًا» حبتيه امتي والنبى!  
- ولا سامح؟  
- والنبى؟ سامح ده..  
لأقاطعها وأنا ما زلت أتحذ بصوت طفولي للغاية:  
- ولا محمد؟  
لتنظر لي بتعجب:  
- محمد مين!!  
- مش عارفة بس أكيد حبيت واحد اسمه محمد.  
لتخطف باقة الورد من جنبى وهي تنظر لي باشمئزاز:  
- تصدقي أنا غلطانة إني جيت أقعد معاكي؟  
انفجرت فى الضحك وأنا أرجوها أن تجلس مرة أخرى وأعتذر  
بنفس نبرة صوتي الطفولية، ابتسمت لي وهي تعيد ضفة الحديث إلى  
مرساها مرة أخرى فتقول:  
- كلها شهر بالكثير أوي وتركي هيبقى بالنسبة لك ولا حاجة  
صدقيني، زي الليسته اللى قبله.. لكن الحب؟ الحب لسة مجاش..  
لما نحب بجد هنعرف، بس صدقيني كل ده هبل.. وأنا وأنتِ هبل  
الحمد لله وما بنصدق.  
مددت لها يدي اليمنى التى لم تأخذ نصيبها من الحبس، ووضعتها

على يديها وأنا أقول بنبرة رومانسية لا تتناسب مع كلماتي إطلاقاً:  
- سلمى حبيبتي.. طبطبي على إيديا عشان أنا دلوقتي عندي إيد  
واحدة وعازية أبقى رومانسية وكده.

لتتحول ابتسامتها إلى نظرة ملل أغرقتني في المزيد من الضحك بينما  
هي نهضت من جانبي لتجلس على مكثبي وتنادي على أمي بصوت  
عالٍ اعتادته منها:

- يا أم ساالارة، هاتيلي حاجة أكلها عشان أمشي.. أنا جزمة إني  
جيتلكو أساساً.

بينما غرقت أنا في طفولتي أكثر، أضحك وأنا أنظر لها وأداعبها  
بعيني المرحة.. مطمئنة لما هو قادم.. مادامت هي معي.

\*\*\*

## 10 يوليو 2017

أصبحت أجلس وحدي في الغرفة مع الهاتف واللابتوب.. أتابع  
العالم من خلال شاشات إلكترونية، أنتظر أن يُفتح باب غرفتي لأجد  
أحدهم قرر زيارتي والاطمئنان علي.. يطمئني ويضحكني ويثرثر معي  
حتى أنسى الوجود.. ويغلبني النوم فأستسلم له وأستيقظ لأبدأ معركة  
جديدة سُميت بالحياة، وخلال أيام اعتاد الجميع هذا الوضع فاختمني  
اهتمامهم.. وأصبحت فقط أنتظر التعافي لأواجه العالم مرة أخرى..

ورغم أنه كان بإمكانني الخروج إلى الشارع ولو قليلاً ولكنني لم أفعل..  
ربما سعيًا لمزيد من الاهتمام، أو ربما فقط اعتدت الركود والكسل.

انشغلت سلمى عني فترة لمرض والدتها بالسكر وتردهم على  
الأطباء ومعامل التحاليل.. وانشغل البقية لأعذار أخرى، أو ربما رأي  
الجميع أن زيارة أو مكالمة واحدة تفي بالواجب.. لم أكن أبحث عن  
اهتمام.. كنت أبحث عن نفسي داخلهم.. تملكني الخوف من القادم  
فطلبت عيناى المساعدة بدموع لم تتحرك.. شعرت أحياناً أن كل هذا  
محض كابوس سيتهيي وسأستيقظ وكأن شيئاً لم يكن..

وأصبحت رسمياً وحيدة.. حتى أبى كان كل دوره فى هذه الرحلة  
تكاليف العلاج.. تغير أبى كثيراً.. ولم تشغل أُمى بسواى.. ربما هي  
الوحيدة التى ساعدتني على النهوض من كل هذا.

فتحت صفحتى التى يزداد معجبوها سريعاً.. نحو أربعة آلاف  
معجب.. لأكتب..

«عجزت عن تحمل وجع رآه الجميع بسيطاً، وحزنت بسبب  
مواقف سخر الجميع من تفاهتها.. ولما أخذ المرض منى منتهاها،  
وتآكل عقلي بكثرة التفكير وقلة النوم.. أدركت حينها أنني أتحدث  
لغة أخرى، لغة لا يفهمها سواى.. ولن يفهمها أحد غيرى.. لغة أهم  
قاعدة فيها أن الأحرف تتشابك لتطمئننا.. وأن الجمل الفريدة التى لا  
نساها أبداً ليس لها محل من الإعراب، وأن الحياة مهما استحالت إلى

جحيم.. فبداخلنا تكمن الجنان والنعيم، ولم يتبق سوى أن نجسدها في واقعنا الممل.. حتى نصبح ما نريد».

\*\*\*

## 12 يوليو 2017

قضيت فترة طويلة من الصمت المغلف بابتسامات كاذبة، وثرثرة تضغط على أوتار الملل كما تضغط على أعصابي، واحتل حياتي الكثير من الأفلام القديمة، والمسلسلات الأمريكية.. كان نصيبي من التفكير يصب اليوم في مسلسل 13 reasons why.

عندما دخل أبي كعادته ليطمئن عليّ ووجهه عابس - دون سبب - ولكنني اعتدت ذلك مؤخرًا.. وبعد أسئلته الروتينية رأي شاشة اللابتوب متوقفة على المسلسل فسألني بفضول عما أشاهد:

- مسلسل بيحكي عن واحدة انتحرت عشان 13 سببًا وسابت شرايط وراها لكل الناس اللي أذتها في حياتها عشان تعرفهم هي انتحرت ليه.

نظر إليّ طويلًا نظرة لم أفهمها وسألني مرة أخرى:

- سابت منهم لأهلها؟!

هزرت رأسي نفيًا، بينما بدا منتصرًا وهو يمسك بطرف الخيط

متحدثًا:

- يعني تعمل عملة زي دي وحتى متعرفش أهلها ليه وتحسهم بالذنب؟!!

- لا هي متقصدهش تحسهم بالذنب ولا حاجة، هي خافت ليزعلوا منها.  
فاستطرد هو قائلاً:

- وهيفرق في إيه زعلهم بقى إذا كانت مخدتش رأيهم في حاجة زي دي.

تحولت عيناى إلى علامة استفهام ومالت رأسى في عدم فهم.. أبى.. المدير الحازم والأب الصارم.. يجلس معي ويناقشني في مسلسل كأنه قضيته الخاصة.. قلت في سخرية اعتادها مني وأنا أداعبه:

- إيه يا بو الصلح أنت اندججت ولا إيه؟!  
لينزع يدي في قوة وملاحه تتحول إلى الغضب، وقبل أن أنطق بكلمة بدأ هو ثورته الخاصة:

- لا الظاهر أنت اللي اندججتى يا سارة.. وفكرتى عشان أنا بتعامل معاكي بحرية يبقى خلاص هتدوري على حل شعرك!  
نظرت لذراعى الذي لم يكد أن يهدأ وجعه من فرط العلاج والأدوية ثم نظرت له في صدمة من كلامه:

- حل شعري؟! في إيه يا بابا أنا مش فاهمة حاجة!  
ليكمل بنفس ثورته وهو يمسك بهاتفه يفتح صورة عليه ويضعها

أمام عيني وهو يقول:

- أنتِ اللي تفهميني .. إيه ده!!

نظرت لأجدها صورتي مع تركي!!! قلت في محاولة فاشلة لتهدئة

الأمر:

بابا الموضوع مش زي ما أنت فاهم سيبني أشرح...

لتتحول ثورته إلى حرب عالمية:

- أنتِ تحرسي خالص، أنا صبرت عليكِ الفترة اللي فاتت دي كلها

عشان تعبك لكن خلاص..

قاطعته قبل أن تتحقق توقعاتي:

- طيب أنا هعمل كل اللي أنت عايزه، بس ممكن أعرف الصورة

دي جاتلك إزاي!!

ليرمي هاتفه أرضاً بعصية مبالغ فيها:

- جاتي زي ما جاتي، أنتِ اللي تقولي مين ده؟! وتعملوا إيه غير

الأحضان والضحك قدام الناس، بتعملوا إيه في السر يا بنت الكلب!!

أنهي كلامه بصفعة قوية على وجهي جعلت ذلك الأمل الطفيف في

التعافي نفسياً يختفي، وأظلم ما تبقى داخل من نور يرتعش..

هدأت ملامحه قليلاً بعد تلك الضربة، في علامة ندم واضحة

استكبر أن يظهرها، ولكني رأيتها.. ساد الصمت لدقيقة لم أستطع فيها

أن أرفع عيني، حينها.. أغلقت أمني باب الشقة ورمت تلك الأكياس

التي أحضرتها من السوق على الأرض وهرولت إلينا محاولة تهدئة تلك الثورة، بينما أنا بدأت استيعاب تلك الصفحة التي أنزلت دموعي رغباً عني، تحسست وجهي الساخن من فرط الألم.. ولم أنتبه لعصبية أبي وكلماته المتلاحقة ولكني انتبهت إلى أمي وهي تحاول احتواء الموقف:

- ولا أي حاجة من اللي في دماغك، الولد زميلها في الكلية ورقص معاها وسط الناس وهي حتى قاتله بعدها متعبرش إن في بينا حاجة، وقطعت علاقتها بيه لما حست بالذنب.

نظرت لها متعجبة، متسائلة.. بينما ازدادت ثورة أبي:

- لا ولسه هتحس بالذنب أكثر

ثم نظرت لي والشر يتطاير من عينيه:

- بتعيطي؟ أنت لسة شوفتي حاجة، موبايلك أنا هاخده وهاخذ اللاب ده هرميه في أي خرابة ومفيش نت، مفيش خروج، ولو أنت فاكرة إن البيت ده مالوش راجل أنا هعرفك إزاي تقرطسيني!!

قالت أمي بعتاب:

- بس هدي نفسك ياخويا.

اختتم ثورته بنبرة غاضبة لم تهدأ لشوان:

- كلامي واضح؟

خرج وأغلق الباب بقوة أبكتني.. احتضنتني أمي وهي تحاول - فاشلة - أن تهدئ من روحي.. أبكي وآلاف الأسئلة تدور في بالي.. أهمها

كيف وصلت الصورة لأبي؟ كيف عرفت أمي كل تلك التفاصيل؟  
ولكن لساني أبي أن يتفوه بكلمة واحدة.. فقط البكاء والمزيد منه.

\*\*\*

وجدت نفسي وحدي، دون أي وسيلة تواصل حقيقية أو  
افتراضية.. أقنعت أمي أن يترك لي اللاب لأصعب عليه وحدي، وفعل..  
ولكنه قطع عني الإنترنت.. ما الفائدة إذن؟!

وفي لحظة صمت داخلية وقفت أمام المرآة أنظر إليّ بحسرة على  
حالي، تحسست ذراعي الذي التوى بسبب عنف أبي معي!  
بكيت كثيراً، بل لطمت وجهي وأنا أصرخ قهراً مستغيثة بأي شيء  
أو أي شخص.. ولا أحد يغيثني أبداً..

أجلت أمي الحديث معي عن الموضوع وشرح ما آلت إليه الأمور  
وتفسير معرفتها بكل هذه التفاصيل والأهم.. معرفة أبي بتلك  
الصورة.. أجلت كل هذا حتى يذهب أبي للعمل غداً.. شغلت نفسي  
بمشاهدة الأفلام والمسلسلات، ودون الحاجة لإنترنت استطعت  
مشاهدة المسلسل مصطنعة أنني لا أبالي بشيء على الإطلاق..

توقفت قليلاً عند المشهد الذي نشرت فيه البطلة قصيدة شعر في  
مجلة جامعتها.. بعد يأسها من أن تحيا الحياة التي تتمناها، فشردت  
وأعدت تشغيل هذا المقطع مرات ومرات..

«What if I can't hum on key?! what if my melodies are the ones no body hears?!»

احترت في الإجابة مثلها تماماً.. ماذا لو لم أستطع مجازاة النغم والتيار؟ ماذا لو كانت موسيقي الخاصة لن يسمعها أحد؟... احترت في أمري أكثر ما احترت لذلك التمثيل الذي لمسني، وبشدة. إذا كان لديها 13 سبباً للانتحار، جعلها تترك كل شيء قد عافت من أجله وتذهب إلى حفنها، فقد أجد أنا أكثر من خمسين سبباً للانتحار ومع ذلك لم أفكر فيه مطلقاً.. بغض النظر عن الأسباب الدينية، ولكنني بشكل ما أكره الاستسلام، أكره الخنوع والضعف.. أكره نفسي الآن.

\*\*\*

### 13 يوليو 2017

جاءت إلى أمي تحمل ذلك الخبر السعيد.. خرج أبي للتو معلناً الحرية المؤقتة، استجوبتها عن كل الأسئلة التي دارت في رأسي طوال الليل.. تماماً كالمحققين، وبتحسر شديد بدأت في السرد:

- بصبي يا سارة وأنت في المستشفى جيت أجيبك حاجة تباتي بيها لقيت اللاب بتاعك مفتوح قلت أقفله.. أنت عارفة إني مبفهمش في الكمبيوتر أوي يعني فقعدت أدور بيتقفل منين لقيت الصورة في وشي معرفش طلعت منين.

لأرد أنا بتعجب شديد:

- إزاي يعني!!!

لتقول بتردد:

- غالباً يعني.. أنتِ كنتِ فاتحة اسمه إيه ده.. الفولدر بتاعك اللي فيه حاجتك وأنا بدل ما قفل فتحت الصورة.. معرفش أنا فجأة لقيت الصورة في وشي لأقول أنا بسخرية:

- اللهم صلِّ عالنبي، وطبعاً نسيتي تقفلي الصورة لحد ما بابا دخل وشافها صح؟

لتومئ برأسها نفيًا وتقول بتردد:

- لا.. نسيت أقفل الباب!

قلت بتعجب وعدم فهم:

- يعني إيه؟!

- يعني أبوكي كان ورايا أصلاً ودخل وأنا محستش بيه أنا أول ما فتحت الصورة اتخضيت وفضلت بصالها شوية، لحد ما لقيتلك حد بيتكلم في قفايا وبيزعق وقوم الدنيا ومقعدهاش

لطمت جبيني في حسرة على غبائي، فقبل أن أنزل للامتحان يومها تأملت الصورة وتركت كل هذا مفتوحًا وخرجت فحدث ما حدث.. عرفت من أمي أنها حاولت تهدئته وأقنعتة بصعوبة أن يؤجل هذه الحرب حتى أتعافى ويطمئنا عليّ، وافق وأخذ تلك الصورة إلى هاتفه

في ذكاء لم تعد أمني له حساباً ولم يقتنع حتى بأي مبرر حاولت تصنعه، فاضطرت أن تفتح صفحة الفيسبوك الخاصة بي التي كانت - لغبائي - مفتوحة وبعد عناء في البحث عن هذا الراقص المجهول وجدت الرسائل بيني وبين تركي واكتشفت أن لا علاقة تربطني به سوى تلك الرقصة، أخبرت أبي بذلك ولكن عقله توقف عند هذه الصورة فقط ولا يريد استيعاب أي شيء آخر.. ومن هنا تحول، طال صبره حتى رأني أتعافى تدريجياً في نحو شهر ونصف، وفي كل مرة يوشك أن يفتح الموضوع، يتردد فيذهب دون أن ينطق بكلمة، رأيت ذلك في ترده وعينيه المتسائلتين كلما جاء إليّ، فتتحرك شفثاه آخذة قرار التحدث، بينما يراجع عقله في لحظة ويعود لسانه أدراجه.. فيصمت.

\*\*\*

## 20 يوليو 2017

مراهقة عشرينية.. تشعر بما لا يشعر به أحد سواها، تحلم بأحلام تعلم جيداً أنها لن تحققها، ويأتي الواقع ليسحقها أرضاً بسبب أخطاء لم ترتكبها، وربما ارتكبتها ولم تستمتع بها.. فماذا سيحدث إذا استمتعت بها؟!

لوهلة.. تخيلت حياتي كما يجب أن تكون.. عائلة متحررة من قيود مجتمع أعمى أنظارها عن الحقيقة.. واكتفت فقط بإشارات قلوبها طريقاً لتسلكه، رقصة جميلة أنهيتها بسعادة لم يشوبها توتر.. وأصدقاء

يفهمونني جيداً ولا حاجة لي لحجب أصواتهم بساعات الأذن، اهتمام متوقع من جميع من اهتممت لأمرهم يوماً.. وحب حقيقي لم يتخلله خوف أو رجفة، فقط رعشة أصواتنا بشوق، وهفة رقيقة تزيدنا براءة وجمالاً.. لوهلة انفصلت عن العالم، أغمضت عيني وأطلقت لقلبي العنان ليدق في الاتجاه الصحيح، تخيلت لو أن كل هذا لم يحدث.. لو أن حياتي كما يجب أن تكون.. كانت! لو أنني أمتلك الخيار لاخترت المستحيل، لو أنني أستطع محو كل ما حدث لبداً من جديد..

فتحت عيني فجأة مدركة لشيء واحد.. قلت بصوت مسموع رغم أنني وحدي:

- أنا أوفر!

وجدت في هذا الحل لكل مشاكلي.. إذا كان كل هذا العبث يحدث لي بسبب موقف لم أستمتع به حتى.. فهذا يعني أن... صحيح؟ أم أن هذا جنون؟!

هجمت أفكارني من كل اتجاه على كل موضوع حتى أصبت بصداق.. تجاهلته ونهضت من فراشي فوراً إلى مكتبي أخذت ورقة من ضمن الأوراق الكثيرة التي ركنتها حتى أكلها الغبار..

أنهيت الورقة وأخذت أخرى وأخرى.. مكثت لساعتين أكتب كل ما يدور في عقلي، كل الحلول الممكنة، كل شيء خشيت قوله، وكل شيء منعت نفسي من التفكير فيه، كل شيء..

وبعدما أصبح عندي حصيلة أوراق امتلأت بالكتابات والاعترافات.. طويت الأوراق بشكل مناسب، وأخرجت بعض أظرف الخطابات التي ملأت درج مكتبي.. ووضعت كل واحدة في ظرفها.

كانت الساعة الخامسة مساءً عندما دخلت إلى غرفة والدي الذي كان في العمل ولن يعود قبل الحادية عشرة، وضعت على فراشه خطاباً منها وبدلت ملابسي وخرجت من المنزل بعد إقناع أمي أنني سأعود مبكراً، تجاهلت إحساسي بالحرية.. ورؤيتي للشارع بعد نحو شهرين أراه من نافذتي الصغيرة.. تجاهلت إحساسي بالخوف وترقب عقاب أقصى مما أخذته.. فقط ركزت على إحساسي بالحماس والرغبة الشديدة في التحدي.. أوقفت تاكسي إلى مكان أعلم جيداً أنه لن ينتظرنى:

- نادي الصيد؟

ورغم ما أمر به من وجع جسدي مازلت أتعافى منه، ورغم وجهي الذي امتلأ بآثار جروح تعافت ولكنها لم تختفِ بعد، قررت تجاهل كل ذلك.. استجمعت أنفاسي ونظرت إلى الخطابين في حقبتي.. ولم يمر الكثير.. حتى حققت المشهد المنشود..

كان محمود تركي خارجاً من النادي وعندما وجدني أمامه بمر ونصف تقريباً مبتسمة، اعتلت وجهه علامات الدهشة والتعجب..

- سارة؟! إزيك، أنتِ بتعملى إيه هنا؟

حاولت يدي أن توترني بينما وضعتها في جيب الجاكيت وعدلت من ملامح وجهي المهزوزة لأصبح واثقة، أعلم مرادي جيداً.. وبكل ثقة:

- جاية عشانك.. أنا عارفة إنك بتخرج من النادي في الميعاد ده، وكنت عايزة أقولك على حاجة متنفعش تتقال عالفيس فقلت آجي وأقولها لك بنفسى..

أخرجت من حقيتي خطاباً أعطيته له في ثقة مني، وتعجب شديد منه.. سبقتة وأجبت على تساؤله الذي لم يتفوه به بعد:

- الجواب ده بعترفك فيه إني كنت بكراش عليك.  
لأرى على وجهه صدمة لم أرها مسبقاً في أي شخص بينما أكملت بنفس الحزم لأدخل إلى أصعب جزء في هذه المحادثة:

- لما تقرا هتعرف إني اتحبست في البيت بسبب الصورة اللي أنت بعتهالي، لا واتضربت كمان من أبويا اللي عمره ما مد إيده عليا، واللى هعمله دلوقتي هو ميعرفش عنه حاجة.

بترقب وصدمة رأيت في عينيه تساؤلاً عن صفة سألصفعها له أو ربما أكثر من ذلك.. ولكني.. وبكل قوة.. خبيت كل توقعاته:

- لما حضنتك ورقصنا كنت متوترة وروحت معيطة ومعرفتش أتبسط.. معرفتش أستمتع باللي الدنيا بتحاسبني عليه..  
ليرد بتردد:

- سارة أنا آسف أنا مكانش قصد....

قاطعته ليس بكلماتي ولكن باحتضان! احتضنته بشدة لدرجة حولت صدمته إلى صاعقة وربما شلل!؟.. احتضنته ولم أهتم لأمر الناس التي توقفت تنظر إلينا، مرت ثوانٍ لأختلعه من حضني كما اجتذبه ونظرت له في عينيه هذه المرة.. وعلى مقربة من أذنيه همست:

- كده أنا اتبسّطت، وأقدر أرجع أستحمل عقاب أهلي والناس على حاجة عملتها بكامل إرادتي وهفتكرها وهضحك..

ابتعدت قليلاً.. لأرمي آخر قبلة جئت لأفجرها:

- الحاجة الثانية... ياريت لو هتتسى كل اللي حصل وهتفتكر حاجة

واحدة فتبقى الجملة دي «مشوفش وشك في حياتي تاني»

تحركت يدها وعيناه وشفثاه مترددتان في نطق أي كلمة بينما اكتفى

لسانه بكلمات غير مفهومة:

- ا.. مم.. كن.. بس..

وبنفس الحزم تحركت لأختفي من أمام وجهه إلى الأبد، أوقفت

تاكسي، دخلت واختفيت فيه وأنا أراه في المرآة مصدوماً ينظر إلى

خطاب في يده يتوسم فيه أن يخفف عنه صدمته.. بينما بدأت أنا في

البكاء.. لأخرج من قشرتي.. وأعود إلى ضعفي مجدداً.

\*\*\*

توقف التاكسي أمام بيت سلمى التي تسكن بالقرب مني، وجدتني

فجأة أمامها أبكي في حضنها ودموعي تحتلط بابتسامة لم تفهمها، سردت لها من وسط تنهيداتي كل ما حدث خلال الفترة الماضية.. أنهيت تلك النشرة لأجدها هي تضحك بشدة، مصدومة، غير مصدقة أنني عندما أعطيت نفسي حرية الاختيار.. اخترت أن أفعل كل هذا.. رد فعلها كان هستيريًا:

- وبتقولي عليا أنا مجنونة وطقة؟! يخرّب بيتك!!! زمان الواد بيضرب أخماس في أسداس.. يخرّب بيتك.  
لتصمت قليلًا وأنا مبتسمة أتهدد.. ألتقط أنفاسي.. ثم تتحدث مجددًا والكلمات تنطلق منها بشكل جنوني:

- وأبوكي!! أبوكي اللي عمره ما ضربك؟ طب لو رجع البيت ملقاكيش هتعملي إيه؟ يا نهارك أسود يا سارة.. أنتِ مش أوفر أنتِ مجنونة!!!

ضحكت وشاركتها في ضحكتها بينما أخذت أنفاسي موضعها الصحيح وبدأت أفسر لها ما غاب عنها:

- صارحته.. قولته إني كبرت ومش هقدر أحكيه كل حاجة بتحصل في حياتي، بس وقت ما يطلب تفسيرًا مني لأى حاجة عملتها هفسرله..

أمسكت سلمى بيدي وهي مبتسمة، وعيناها امتلأت فخرًا بقراري.. بينما أنا رأيت كل هذا عاديًا، فقط قررت أن أريح عقلي من

صخب فوضاه التي اختلقها لنفسه، لا شيء سوى ذلك..

ثم قالت مداعبة لي :

- وأنا ماليش جواب بقى في كل دول؟

لأخرج من حقيتي آخر خطاب.. وأنا مبتسمة بينما هي متفاجئة..  
فتحته لتجد الورقة عبارة عن قلب كبير كتب فيه بخط صغير جدًا في  
المنتصف «بحبك وكده» تمامًا كرسومات الأطفال..

ضحكت بسخرية وهي تقول:

- وكده؟ دي اللي هي الـinfinity يعني؟

لأهز رأسي إيجابًا وأنا أضحك، واكتفى لساني من الكلمات.. فقط  
أسئلة بسيطة لأطمئن على والدتها التي تمكث معها في المنزل دون أن  
تتحرك من جانبها.. فأمها امرأة ستينية جميلة لم أر لها مثيلًا، وكان شاقًا  
عليها المجهود أو الحركة لذلك تكفلت سلمى بكل ذلك، فبعد وفاة  
أبوها لم يعد لسلمى خيار من أن ترعى والدتها الرقيقة رغم شدتها  
وحزمها على سلمى أحيانًا كثيرة.. بدت سلمى قلقة عليها، كما بدت  
مطمئنة بوجودي إلى جانبها، مثلي تمامًا.

\*\*

ذهبت إلى المنزل في التاسعة تقريبًا.. وأنا مطمئنة لنجاح كل خططي،  
وبكل ثقة فتحت الباب لأجد أبي يقف أمامي.. ينظر إليّ.. وفي يده  
الخطاب الذي تركته له، ينظر لي بحزم.. نظرت له بأسف وقلت دون

تردد:

- ممكن قبل ما تعمل معايا أي حاجة أحضنك بس الأول؟!  
ودون استئذان ارتميت في أحضانه دون أن أنتظر تعاطفه، فقط قلت  
من داخل حضنه الذي احتواني رغمًا عن غضبه مني:
- عشان أنت وحشتني أوي، ووالله العظيم ما هزعلك تاني أبدًا.  
لأجد يده تتناغم مع موسيقي الخاصة وترت عليّ بحنانه الذي  
افتقدته، وهو يقول بنفس الحزم الذي لا يتناسب مع كلماته:
- وأنتِ كمان.  
لتخرج أمني من المطبخ وتجعل الموقف أكثر كوميدية:
- طب ما أنتوا حلوين أهو أمال ليه جو الأكشن وأحمد السقا اللي  
لبسك ده علي البت المسكينة  
ليعبس وجه أبي مرة أخرى.. بينما أنا أضحك بشدة وأنا أنظر لها  
بكل علامات التحذير:
- خلاص بقى يا ماما بقى.. بابا معاه حق، أنا غلطت ولازم  
أتعاقب.
- وبمنتهى التلقائية والرومانسية التي لم أقصد أن أحرز بها هدفي..  
نظرت له بحب:
- لو هتعاقبنى بالموبايل والنت والخروج أنا موافقة، متعاقبنيش  
بإنك متتكلمش معايا ممكن؟



من أسمى خيارات الحياة: إما أن نعيش،  
أو أن نتعاشق.. لا خيار للموت هنا.

«واضحنيي عالمشاع»

مصطفى أمين .الرقصة الأخيرة



## 7 يوليو 2017

رفع أبي الحصار عني شيئاً فشيئاً واستعدت بعضاً من حرיתי بمرور الوقت، في خلال الأسبوعين الفائتين ارتفع معجبو الصفحة إلى ستة آلاف ونصف تقريباً، مما أثار فضولي لأعرف السبب وجدت أن أكثر المنشورات تفاعلاً.. هو ذلك الأخير  
وها قد أخذت الصفحة طريقها للانتشار.

\*\*\*

أول خيط للنجاة من آثار الماضي هو تحديد المستقبل، قررت أن أحو كل الآثار الماضية بأهداف وأحلام جديدة، وضعت نصب عيني هدفي الآن.. معرفة أناس جدد، وها أنا أبدأ متصالحة مع كل ما فات راغبة في ما هو آت.. وبالفعل..

حدثت رانيا في التليفون أحكي لها كل ما حدث في حياتي الفترة الماضية، وبدون مقدمات أخبرها أنني نويت التغيير، وأول تغيير قمت به هو إدخالها في كل هذه التفاصيل، رغم أنها لم تكن بالصديقة المقربة التي ستساعدني ولكن لن أضغط على سلمى أكثر من ذلك، يكفيني

أنها بدأت تتنفس بحرية بعد تعافي والدتها.. استجابت رانيا وفرحت بعد اندهاش وذ هول مما أخبرتها به.. وقررت أن تمدلي يد المساعدة على طريقته الخاصة:

- خلاص سيبي نفسي أنا هظبطك، بكرة الساعة 6 بليل جهزي نفسي والبسي حاجة حلوة هاخذك أعرفك على ناس هتحيهم أوي.  
قالتها بحماس مُعدٍ.. أغلقت الخط فرحة متحمسة.. لحياتي الجديدة.

\*\*

## 28 يوليو 2017

في اليوم التالي أخذتني رانيا إلى كافيه اجتمع فيه أصدقاءؤها.. نظرت إلى أربعة أشخاص اجتمعوا على طاولة يتفحصونني باهتمام، بينما هي تقدمني إليهم:

- سارة يا جماعة اللي حكتلكم عنها..

ثم نظرت إليّ وهي تشير إلى كل منهم، وتحدثني بشغف:

- سارة دي مريم، معانا في الجامعة بس في آداب.. وده أحمد في حقوق عين شمس قدنا برضه.. ودي رؤى في كليتنا بس لسه في سنة أولى، وسيف متخرج السنة دي ولسه بندورله على شغل.

- طب ما تدوروا لي على شغل معاه.

ليرد هو عليّ دون البقية:

- أنت هتتخرجي السنة الجاية؟

لأجيبه بالموافقة بينما يقاطعنا الجرسون ليأتي لنا بقائمة الطعام،  
ويأخذ طلباتنا بينما تسألني رانيا عن سبب انقطاعي عن الكلية السنة  
الفائتة لأرد وأنا أضحك:

- أصلي حبيت الموضوع أوي..

وغرقنا جميعاً في الضحك، فيما عدا سيف الذي توقف عن الضحك  
فجأة ليوجه كلامه لرانيا بصوت خافت:

- هي علطول مهيرة كده؟

لأقول أنا بمرح اعتدت عليه:

- سمعتك على فكرة.

ليبتسم هو في حرج بينما ترفع رانيا هذا الحرج بقولها:

- سارة دمها خفيف أوي.. عاملة صفحة اسمها الموقف بتكتب

عليها سكريبتات حلوة أوي وبتضحك.

ليوجه أحمد كلامه لي لأول مرة:

- إيه ده.. هو أنتِ اللي عاملة صفحة الموقف؟؟

تابعت نظرات إعجابهم التي أنعشتني، وأجبت بهدوء وثقة غير

مسبوقة عن كل الأسئلة، أخذت الميكروفون من الجميع وتحدثت كأهم

من في الجلسة... بينما أتى الجرسون ليضع لنا الطعام، وتستمر أحاديثنا

وثرثرتنا وتأخذ ضحكاتنا إلى المالا نهاية:

- مفكر تيش تغيري اسمها؟

قالتها رؤى وهي تأكل سريعاً بينما أرد أنا بثقة:

- حساه كده مميز شوية مش زي أي صفحة.

ليرد سيف بسخرية وبرود:

- هي فعلاً مش زي أي صفحة.

قالها بضحكة مستهزئة وهو يعبث بهاتفه لأنوقف وأضع كوب العصير أمامي وأنظر له قليلاً، بينما هو لا يبالي منغمساً في هاتفه المحمول.. ساد صمت لدقائق قطعته رؤى التي استعدت للرحيل لمقابلة العمل التي تنتظرها، استأذنت منا جميعاً ومني أنا بالأخص:

- مبسوطة إنى اتعرفت عليك يا سارة.. إن شاء الله تبقى بداية سعيدة.

لأتجأوب أنا معها في رأيها.. أن تكون بداية سعيدة.. فهل من الممكن أن تكون كذلك!؟

\*\*

## 30 يوليو 2017

رغم اختلاطي بأناس جدد أزالوا غبار السنوات من قلبي وزادوني ثقة، إلا أنني لم أتذكر من كل هذا سوى نظرات المسمى بد(سيف) السخرية والازدراء المزوجان بإعجاب حاول إنكاره، ربما كنت ضعيفاً ثقياً مثل كهل في أواخر أيامه يتكى على عصاه وعلى أحرفه وكلماته،

ليسمعه من لا يريدون ذلك على الإطلاق.

نفضت كل ذلك من على رأسي وعاهدت نفسي عهداً.. أن أكتب كل ما أشعر به.. بشرط أن ينتهي الأمر بمجرد كتابته.. وفعلت ذلك: «الفكرة مش في إنك قابلت شخصاً جديداً مش حابب يبقى جزءاً من حياتك.. لأ.. الفكرة في إنك زعلان إن في حد خد المايك منك.. للأسف معنديش ليكو غير الشفقة إن حد غيركم بقى بطل قعدتكم».

#الموقف

أكاد أجزم بعدم فهم جميع من في الصفحة بهذا الكلام، ولكني فقط أفى بعهدي مع نفسي.. حادثتي رانيا بعدما نشرت هذا لتضع بعض النقاط على أحرفها:

- بصي، سيف ده طول عمره دبش ومدب وإحنا متعودين عليه كده.. ده كان في حقوق وعنده كمية صحاب خرافية وبيتعامل معاهم كلهم كده.

لأقاطعها بحزم:

- رانيا أنتِ بتشرحيلي حياته ليه وأنا مالي، إن شاء الله يصاحب مصر كلها.

أكملت رانيا تبريرها.. عن سيف شاب، الاثنتين وعشرين سنة.. محور كل حديث وجلسة.. استغرقت ربع الساعة وهي تحكي حديثه معها حيث أخبرها أنه شعر بسخافته بالأمس وطلب منها أن تعتذر لي

نيابة عنه، فهو يمر ببعض المشاكل التي تجعله لا يستطيع التعامل بشكل صحيح خاصة مع أي شخص غريب.. طالت المكالمات بيني وبين رانيا لنصف الساعة وأخذت محورًا آخر تمامًا.. أخبرتني عن كيفية معرفتها به، وبالشلة كلها.. فهي من النوع النشط في الكلية، تجمعوا من كليات مختلفة منذ سنة في نشاط جامعي أو **student activity** وكانوا أكبر عددًا من ذلك ولكنهم انتقوا بعضهم البعض ليشكلوا شلة تتقابل بين الحين والآخر تتسامر.. تضحك.. يخفون عن بعضهم أعباء الدنيا.. ويخفون من حيواتهم بسرعة مرة أخرى، أصدقاء اللحظة.. تمامًا كما صنفتهم من قبل.

وبعد كل هذه النسيمة.. أعطيتني رقم سيف في حالة إن أردت محادثته ولكنني رفضت تمامًا.. لما يقرب من اليومين.. وبعد ذلك.. اتصلت..

\*\*\*

## 1 أغسطس 2017

خلال ثانيتين من اتصالي كنت قد ندمت على هذه الخطوة.. ولكنني مضيت قدمًا ممثلة الشجاعة التي اعتدت التظاهر بها:

- ألو..

- إزيك يا سيف.

- الحمد لله.. مين معايا؟

- أنا سارة.

- سارة مين؟ آآآآآ.. سارة بتاعت «الموقف» ههههه.. إزيك؟  
من الواضح أن مشاكله في التعامل مع الغرباء أكبر مما كنت أتخيل،  
ومشكلته في المزاح أكبر  
- كويسة الحمدلله.. أنا قلت أتصل أطمئن عليك رانيا قالتلي إنك  
تعبان وعندك مشاكل إيه مالك؟  
- يا بنت الكلب يا رانيا.  
- نعم؟  
- بقولك كل المشاكل فانية.. عادي متاخدش في بالك المهم  
متكونيش زعلانة بس

أخذ وجهي وضع الاشمئزاز بينما قلت مجبرة لا خيرة:  
- لا أبداً مفيش زعل ولا حاجة.  
ساد صمت لثوانٍ قطعتة أنا باستعجال:  
- طيب أنا هقفل عايز حاجة؟  
ليقاطعني بتعجب:  
- تقفلي إيه بس لازم أصلحك الأول؟  
رفعت حاجبي في تعجب لم يره بينما أحسه في صوتي:  
- تصالحي؟

\*\*

لم يعلم أحد شيئاً عما فعلته ليلتها سوى بعدها بأيام من التفكير

المستمر.. أما عن ليبتها.. فكانت نزهة لطيفة رغم ازدحام الشوارع  
كان الطقس جميلاً.. وكذلك كان سيف أيضاً!

- انفضلي يا ستي واحد شاورمة سوري إكسترا تومية  
قالها في لهجة استعراضية بينما أخذته منه وأنا أضحك ساخرة من  
كلامه:

- هي التومية بقت «إكسترا» امتي؟  
اكتفى هو بالابتسامة فقط، وعيناه مملوءتان بالتساؤلات.. بينما  
أجبت أنا على كل تساؤلاته ببساطة:

- أنا سارة.. رايحة رابعة تجارة إنجلش.. معنديش هواية غير  
الأفلام القديمة والأغاني وأحياناً الكتابة.. أقرب أصحاب سلمى معايا  
في الكلية ورائيا أنت عارفها.

ليرد بسخافة بدأت الاعتياد عليها:

- أنا مسألتكيش على فكرة!

نظرت له بلموم وسألته بسخرية:

- هو أنت علطول سخيف كده.

- علطوووول..

ضحكت رغمًا عني بينما هو ابتسم ابتسامة صادقة.. واسترسل في  
الحديث:

- وأنا سيف، متخرج من حقوق، وبدور على شغل.. بحب أغني

يقولوا صوتي حلو، وعندى شوية فولورز حلوين عالفيسبوك.  
قلت بسخرية:

- طب ما عملي شير للبيدج بتاعتي ينوبك ثواب.  
وأكملت الساندوتش في اندماج بينما هو نظر لي طويلاً ثم أخرج  
هاتفه من جيبه ليفتح الفيسبوك وينشر صفحتي «الموقف» على بروفايله  
بالفعل.. ارتسمت على وجهي علامات ذهول جعلتني أتوقف حتى  
عن الأكل، بينما هو انتهى ووضع هاتفه بجيبه مرة أخرى ونظر لي  
بابتسامة تحيد:  
- حصل.

توقفت عن السير فتوقف هو الآخر ونظرت لأقول له بذهول وأنا  
أضحك:

- أنا كنت بهزر!  
لينظر في عيني مباشرة وهو يقول وصوته اختلط بالطعام:  
- وأنا مبهرش.  
صمتنا لدقيقة ساد فيها الذهول والتفكير.. قطعها بتوقفي مرة  
أخرى في الشارع لدقيقة.. لأرمي ورقة السندوتش في سلة القمامة ثم  
أنظر له وهو شارد، وأفاجئه بطلبي:  
- غنيلي حاجة..

انتبه من شروده إلى طفولتي ومزجها بأغنيتي المفضلة «كل ده كان

ليه»

ليدخلني إلى شرودي أنا.. ولا أفيق أبدا.. أغنية تتلوها أخرى  
وأخذنا نصيبنا كله من الليل في الأغاني.. والحكايات.

\*\*

### 3 أغسطس 2017

مر نحو يومين حتى استطعت تجميع أفكارى والتحدث إلى إحداهن  
لأحكي لها تلك التفاصيل التى هوستني.. يومين انعزلت فيهما كعادتي  
عن هاتفى وعن الإنترنت، فقط جلست مع والديّ بنصف عقل..  
والنصف الآخر تائه بين تلك التفاصيل.. أفاقني من غيبوتي اتصال  
منه.. كان هذا هو أول تواصل بيني وبينه بعد ذلك اليوم:

- فينك يا بنتي.

- موجودة.. بس مش بفتح نت.

- بسبب..؟

- من غير سبب والله، زهق بس.

- طيب أنتِ فاضية النهاردة..

- لا.

كانت هذه الإجابة السريعة والحازمة ما هي إلا غلاف لـ «آه جداً»  
ولكن شيئاً ما أخبرني أنها الإجابة المناسبة:  
- أمم.. تمام هقوها.

- تقول لمين؟

- رانيا.. مجموعة العيال النهارده عيد ميلاد رؤى وقالتي أكلمك

عشان مبتدش عليها

صمت لنصف الدقيقة ثم قلت بتردد:

- أصل أنا ورايا حاجات.. حاجات كتير.. ماما عايزاني أساعدها

وبابا كان عايزني أساعده في شغل في ال excel والنهاردة أصلاً يوم

النضافه عندنا في البيت ده أصلاً سلمى المفروض هتجيلي...

قاطعني وخلع نظارة الإحراج التي دائماً ما أرتديها:

- ماشي.. عيد الميلاد الساعة 10 ساعدي ماما وساعدي بابا

ونضفي واستقبلي صحبتك وهاتيها معاكي.. سلام عشان هكلم أحمد

يلا.. باي.

وأغلق الخط مرة أخرى!

لا مفر من الحديث مع سلمى... آه يا قلبي!

قفزت بداخل ملابسني وذهبت إلى سلمى لأتلقى العقاب اللازم

لغيابي لما يزيد عن أسبوع والإتيان لها بما لا يسر أبداً.

\*\*\*

قابلت سلمى وجعلتها تلبس على عجل وخلال طريقنا سردت لها

كل شيء.. بداية من تقربي لrania وبدايتي الجديدة معها.. حتى سيف

غريب الأطوار وتصرفاته الغريبة التي لا أفهمها.. كانت عينا سلمى

تتسع بشكل أدهشني وكأنها لم تكن لتتوقع أن يحدث كل هذا في أسبوع  
اختفيت فيه عنها ، أوضحت اندهاشها بردها الذي بدأ بتنهيدة ونفس  
طويل لتحدث إليّ دون أن تفقد أعصابها:

- أنا عايزة أفهم حاجة بس .. مش إحنا ما صدقنا خلصنا من حوار  
تركي؟ بتدخلي في حوار تاني ليه دلوقتي؟

- أنا مدخلتش هو اللي مش مفهوم، أنا كل اللي عايزاه أعرف ناس  
جديدة عشان أنسى القديم كله ..

وأكملت كلامي بشكل متلاحق:

- هو في الأول غلس وغتيت لكن بعد كده بان إنه .. لطيف ..  
كويس يعني .

وقبل أن تنظر لي نظرتها الثاقبة قلت بسرعة:

- ده مش حوار okay؟ ولو في حوار يبقى من ناحيته هو .. أنا مش  
هحبه لأ .. مش هحبه .. أنا بس .. بستلطفه، ممكن نبقى أصحاب .. مش  
كده؟

\*\*\*

دخلنا إلى الكافيه نبحت عنهم، لنجد صوت سيف من ورائنا كمن  
خرج من الفراغ:

- أنتِ سلمى صح؟

نظر كلانا إلى الخلف في فزع مضحك، وبسرعة شديدة تعرفنا على

بعضها.. راقبت عينيّ سلمى التى بدت راضية عنه - بشكل مبدئي -  
تقدمنا سيف ليعرفنا على المدعويين وقال بلهجة سريعة:

- ده أحمد، ومريم.. سيف - على اسمي -.. لبنى.. شيري.. تركي..  
وزياد.

- !!!!!

نظرنا - أنا وسلمى - لبعضنا البعض فى صاعقة لم نحسب لها أبداً..  
بينما هو أكمل ليزيد من توتر الأمر:

- سارة وسلمى يا جماعة صحاب رانيا وصحابي.

اتسعت عينا زياد فى ذهول بينما الآخر احمرت عيناه فى غضب  
وحرج.. أما نحن فلم نخلع رداء التوتر والخوف حتى انتهاء عيد  
الميلاد.. نكزتني سلمى بتوتر بعد أن جلسنا:

- الله يخربيتك ويخربيت اللى يفكر بييجي معاكي فى حته!

وبنفس نبرة الصوت الخافت المتوتر قلت لها:

- وأنا يعني هشم على ظهر إيدي؟ أنا مالي!

قطعنا عن حديثنا سيف الذى بدا أنه كان يجادلنى منذ دقائق ولم  
أنتبه له:

- معايا يا سارة؟!!

- آه.. معاك.. بس أصل.. سلمى كانت بتسألني عن رانيا هتييجي

إمتى عشان هي متعرفش حد هنا غيرها.

لم أكمل الجملة حتى نكزتني سلمى من أسفل المنضدة بما قلته للتو، وأخبرنا سيف أنها مع رؤى ستأخذها إلى هنا حيث تجدنا مع كل هذه الزينة والاحتفالات.. لم أنتبه إلى ثرثرته ولكن كان تركيزي مع الاثنين في نهاية المنضدة، نظرت لتركي أسترجع كل الذكريات التي لا تدل على شيء سوى الغباء، لا أعلم ما الذي يفكر به الآن ولكن بدا على وجهه أنه شيء غير مريح، كذلك زياد الذي بدا متوترًا كان ينظر إلى سلمى من حين لآخر بصدمة وكأنه يلومها بعينيه، تحدث الجميع في صوت واحد تقريبًا وكان هذا في صالحنا - أنا وسلمى - كثيرًا.. همست لها:

- هو إيه آخر حاجة حصلت في حوار زياد أنا نسيت؟

لترد وهي تقلب نظرها بين الجميع - عداي - في توتر:

- افتحى الواتس.

وبالفعل:

- انتهى ببلوك.. ممكن تبطلي غباء عشان هما مبطلوش يبصوا علينا

من ساعة ما دخلنا؟

- حاضر.. بس إيه رأيك في سيف؟

رأيت أصابعها تتحرك بسرعة وعصبية بينما أنا لم تزل الضحكة عن

وجهي بسبب الموقف كاملاً:

- حلوا يا ستي حلوا.. ممكن نركز في المصيبتين اللي قدامنا دول

الأول؟!!

انتبهت لسيف الذي لم يكف عن الحديث والترثرة ولكن هذه المرة  
كان يتحدث عني:

- مش كده يا سارة؟!!

- ها؟

رأيته ينظر في منتصف عيني يقرأهما.. بينما لسانه مصمم أن يزيد  
الأمر توترًا وحرَجًا:

- كنت بقول لزياد إنك عندك صفحة بتكتبي فيها خواطر  
وسكريبتات حلوة ودمها خفيف  
وبتلقائية شديدة لم أفكر بها:

- وبتقول لزياد ليه؟ ما كل دول مش عارفيني ولا عارفين إنني  
عندي صفحة وبكتب فيها؟

التفت لي زياد بصدمة وتسمرت عينا سيف عليّ بذهول.. بدأت  
إدراك ما فعلته.. خاصة بعد دهس سلمى لقدمي بكعبها العالي من  
أسفل المنضدة:

- آآاه.. حاسبي يا سلمى!

وتجمد الجميع في محاولة لاستيعاب سبب كل هذا التوتر في هذه  
الطاولة دوناً عن غيرها في الكافيه.. فتحت سلمى موبايها لتعاود  
محادثتي مجدداً:

- ارحمي أمي من غبائك، ما تقفي عالترابيزة وتقوليلهم على كل

حاجة أسهل!!!!

ضحكت بصوت مسموع ولحسن الحظ كانت المنضدة تضج بالثرثرة وكأن شيئاً لم يكن.. فانفصلنا عنهم.. لتحدث عنهم:

- هو رغاي أوي يا سارة.. والناس اللي بتتكلم كثير دي بتبقى فاضية من جوه

داعبتها كعادتي:

- نملاه؟

\*\*\*

وبعد نصف ساعة دخلت رانيا إلينا ومعها رؤى.. التي صدمت من كل شيء، بداية من هذا العدد ونهاية إلى التورته التي كانت تحمل أحب صورها إليها.. وبعد الاحتفال وملحقاته.. وبعد أن عرفت رؤى بسلمى.. أشارت إليّ سلمى لترحل الآن قبل أن يحدث المزيد من المشاكل ولكن سبقنا الاثنان تركي وزياد ورحلا في استئذان سريع من الجميع عدانا، وانقضى اليوم ما بين الضحك والمرح وما بين الذهاب والخجل مادام استمر سيف على منهجه: تسويتي على نار هادئة.

ورغم اندماج سلمى مع الجميع وجدتها تهمس لي:

- أنا هروح، كلمتك طنط وقولتها إنك هتأخرى ساعة كمان خليكى أنا همشي لو حدي وبكرة احكي لي اللي حصل.  
لم أفهم مغزاها من تركها لي وحدي.. ولكني أوأمت برأسي عندما

رأيتها تبسم لي بحب.

\*\*

كان اليوم رائعًا خاصة تلك التمشية مع سيف في نهاية اليوم، ومن هنا، من هذه النقطة تحديداً بدأت الحكاية.. وذلك الاتفاق الذي عقدناه مادمننا على قيد الحياة.. الاتفاق الذي سنلجأ له ربما للتعارف، للتقرب، للاستفهام.. لعبة الصراحة.. بوعده من الطرفين.. بالإجابة بكل مصداقية وصراحة.. مهما كان السؤال.

\*\*

## 14 أغسطس 2017

مرة تلو الأخرى أصبحت خروجات الشلة أقل بكثير من خروجي معه بمفردنا.. كان يتصرف معي دائماً كأننا نعرف بعضنا من قديم الأزل.. وأصبحت مقابلاتنا طقساً شبه يومي مهماً يطمئني.. ويجعلني أنسى ما فاتني من حياة لم أعشها...

\*\*

أتعلم ما أجمل شيء في الأفلام والروايات عن حقيقتنا وواقعنا؟ غير تلك النهايات السعيدة المزيفة التي لا تمت للواقع بصلة؟  
المونتاج!

نعم، ذلك الفن الذي يجعلك - بكل حرفية - تقص كل ما لا تريد

وكل ما هو غير مهم وغير مؤثر على الإطلاق، تمسح كل الحروف التي لن تفيد قصتك بشيء، تراجع جيداً لتتأكد أنك قد وضعت المفيد فقط، أما الفراغيات والكماليات وتلك الشرثرة الفارغة وروتين حياتك القاتل لا مكان لهم بين ساعتَي الفيلم أو بين عشرات الصفحات في رواية ذات مغزى.. أما الواقع، مليء بالشرثرة، والتزييف غير المبرر، ففي الواقع، لن تستطيع التخلص من بعض أو كل لحظات القاتلة، كالحظات انتظارك لشيء مهم، لن تستطع تحييد مشاعرك تجاه هذا الواقع وهذه الحياة. كذلك اليوم الذي انتظرته فيه لأكثر من ساعة ونصف في مطعمنا المفضل، ليأتي أخيراً وهو مبتسم دون أي اعتذار، وقبل أن أعضب منه رأيته يخرج من جيبه خاتماً جميلاً ملوناً، شكله أشبه بالدبلة.. إنه ذلك الخاتم الذي تمنيت أن أجده يوماً فهو يتغير لونه على حسب المزاج ودرجة الحرارة!

- كل سنة وأنتِ طيبة!

توقفت حدقة عينيَّ على يده التي تمسك بخاتم يتصدر قائمة أمنياتي أو الـ **wish list**، مد يده لي وابتسم بحب وعين لامعة، واستعد لأخذ يدي ليضع بها الخاتم ولكنني سريعاً ما أفقت من أحلامي، وأخذته منه لأرتديه أنا وابتسم في ارتباك قبل أن يؤكد ارتباكي بسؤالِي:  
- أنتِ مش عيد ميلادك الأسبوع الجاي برضه؟

\*\*\*

واستمر سيف في اقتحامي.. لم يكتف بالطرق على أحد أبوابي، بل قرر أن يكسر كل تلك الأقفال بدون استئذان.. لدرجة أنستني العالم والماضي بأكمله، والوقت الذي تذكرته بعد مضي الكثير منه.. كان باردًا بابتسامته اللامبالية.. كان يأخذ أنفاسه بين كل كلمة وأخرى ويتكئ على حروفه ويتسم كثيرًا، فكان نتيجة هذا العبث أن هذه الليلة كانت أجمل ليلة فوضوية قضيتها في عمري، إن لم تكن الوحيدة.

\*\*\*

دخلت إلى المنزل في الحادية عشرة، بعد تلك الليلة التي اعتبرتها دافئة رغم كل ما بها.. وجدت أمي تسألني بسخرية غير مبررة:

- خلاص مبقيناش عاجيينك يا ست سارة، كل يوم عند سلمى لنص الليل؟؟

نظرت لها بصدمة وعدم فهم وقلت بتردد:

- سلمى؟! أنا.. أنا مكنتش..

قاطعني صوت سلمى التي خرجت من غرفتي للتو تنظر لي بعتاب مزوج بحذر:

- مكنتش إيه؟ مكنتش لاقية الأجندات أنا عارفة إنك مش هتلاقيها، نزل بكرة نجيبها سوا

لم تعطني فرصة للجواب وسحبتني من ذراعي لتدخلني إلى غرفتي وتطلب من أمي أن تجهز العشاء بينما أبدل أنا ملابسني، أغلقت الباب

بإحكام ونظرت لي بتفحص وتساءلت في غموض:  
- يعني أنتِ تعملي المصايب من هنا وأنا اتشقلب عشان أداري  
عليك طب عالآقل ردي عالموبايل.  
نظرت لها بأسف ودون أن أتحدث أو أروي أي شيء، احتضنتني  
وأجلستني على سريري، وجلست في مواجهتي.. نظرت إليّ بفضول  
وقالت:

- أنا مش زعلانة، ممكن بس تطميني عليكِ عشان أنا قلقانة بقالي  
أسبوعين؟ أنتِ كويسة؟  
هزرت رأسي إيجاباً ونفيًا وقلت بتردد:  
- مش عارفة، متلخبطة!

\*\*\*

وسردت لها ما فاتها في أسبوعين ماضيين، صمتت هي دقائق  
لتستوعب كل هذا وسألت سؤالاً بديهيًا:  
- أيوه يعني إيه بقى الكلام ده؟!  
نظرت لها بتردد وقلت:  
- يعني هو بيلمح وييرمي لكلام غريب أنا مش فاهماه، ومش عارفة  
أحدد أنا عايزة إيه!  
- بتحبيه؟

نظرت للأسفل وصمت تمامًا، رفعت هي رأسي بحنان وكررت

سؤالها بصيغة أخرى:

- هتحيه؟! -

- وارد.. -

صمتت واعتدلت في جلستها وقالت في فضول واستكشاف:

- طب إنتو لما لعبتوا مع بعض صراحة أكثر من مرة فهمتي إيه؟

ترددت قليلاً.. حاولت نطقها أكثر من مرة.. ثم قلت باندفاع

لأزيح من عليّ هذا الهم:

- بتاع بنات.

\*\*

قطعت أمني حديثنا وتفكيرنا بإخباري أن العشاء جاهز، طلبت مني سلمى أن أركز ولا أتفوه بشيء خاطئ، فمن المفترض أنني كنت عندها في المنزل منذ السابعة ونزلت لأبحث لها عن أجندة أرادتها بشدة وسمعت أنها تباع هنا في شبرا، وسبقني هي إلى هنا لتطمئنهم أن كل شيء على ما يرام!

سيناريو أبله.. ولكنهم صدقوه، لأنها سلمى.. إنها ضلع من أسرنا وليست مجرد صديقة، إنها الشخص الذي لو أخبرت والديّ يوماً بأني ذاهبة إلى الجحيم معها فلن يقلقوا البتة، مادامت سلمى معي!  
دخلت إلى غرفة المعيشة، لأفاجأ بتزيينها بشكل كامل.. إنه حفل عيد ميلادي!

وها قد فُسر كل شيء، نقطة أخرى في صالح سلمى التي لن يكفيني الاعتذار لها عن إهمالي.. ها هي تفاجئني وتذهلني كالعادة.. احتفلنا بعيد ميلادي العشرين، مع أسرتي الصغيرة التي ضمت ضلعاً صغيراً، يكمل الناقص من المربع.. بينما أصرت أُمي أن تخفي عني هدية سلمى حتى أفتحها يوم عيد ميلادي، أي بعد أسبوع من الآن.

\*\*\*

اختتم اليوم الطويل ببيات سلمى عندي، بإصرار شديد مني، لنكمل ما بقي من حديثنا.. توترت قليلاً لأجيب على سؤالها:

- بصي، أنا ناوية نبقى أصحاب.

- من غير تحوير وحياة أبوكي.

قالتها بانفعال لم يخلُ منه كلامي أيضاً:

- ما أنا معرفش إيه اللي ممكن أقابله في السكة!!

لتختصر عليّ الطريق وتضع الإجابة نصب أعيني:

- خازوق.

ضحكت ووافقتها الرأي، واستمر حديثنا عن كل شيء ليلتها، وتوقفت الثرثرة عندما نظرت لي كمن يستحضر كلمات اعتراف، وقالت:

- أنتي مش شايفة إنك عمالة تكرري نفس الغلطات تاني؟

ثم شدت على يدي بقوة وأكملت:

- متخليش أي حاجة حصلت أو هتحصل يا سارة تغير اللي باقي منك.

لم أرد، أجابت عيناى جيداً بينا لساني ظل صامتاً، فقط احتضنتها وتركتها تتحدث دون أن أقطعها:

- ليه متحكيش ليا كل ده غير بعد ما يخلص! أنتِ عارفة إيه اللي خلاني أصدق إن حوار سيف ده مش زي كل مرة؟ وإنه هيقرب حب بجد؟ عشان أنتِ اتغيرتي معايا.. معايا أنا يا سارة! تنهدت وسط دموعها لتقتلني بجملتها الأخيرة.. وأمسكت بيدي مرة أخرى:

- أنا محتاجالك.

وكعادة الفتيات بكاء يجر آخر، ودموعنا لم تتوقف، وكأننا عقدنا انفاقاً ملزماً لكل أطرافه أنه حتى في أجمل الأيام التي قد نعيشها.. يجب علينا البكاء!

شعرت بأن سيلاً من الاعتذارات لن يكفي فتركتها فقط تتحدث وأنصت لها باهتمام.. وجدت ابتسامة مطمئنة على شفيتها وعينيها، فاطمأنت.

حتى عندما بدأت تسرد كل حكاياتها التافهة وتفصيلها الصغيرة، كانت في تلك الليلة أغرب من سابقاتها، وجدتها تحكي لي عن طفولتها، حب الطفولة، أول لمسة يد وكلمة حب، عن كل أصدقائها الذين

صادقتهم منذ صغرها، عن شوارع اشتاقت إليها عندما كانت تسكن في بلدها الريفي قبل أن تأتي إلى هنا مع أمها، عن والدها - والذي بالمناسبة تتجنب دائماً أن تحدثني عنه - كيف كانا مقربين كالشجرة التي تتشابك أفرعها مهما كانت يابسة سردت لي قصة موته في حضنها، سردت لي أسرار أصدقاء لم أسمع عنهم مسبقاً، وعن حياة تمت أن تعيشها، مع حب حقيقي، ومع كل تفاصيلها البسيطة.. تدرجت في سردها إلى أمها وكيف تحبها، وترى العالم بأكمله داخل عينيها الحائيتين، حدثتني حتى عن ملابسها وكيف ترى نفسها بداخل كل هذه التفاصيل المتداخلة.. أنهت ساعة من الحكايات بجملة جعلت ابتسامتي تتسع أكثر:

- وبحبك، وبحب إنك داخلة في كل تفصييلة من دول.

\*\*\*

قبل أن ننام مباشرة صممت أن تسمعني أغنية جديدة.. قالت إنها تليق كثيراً بهذه الحالة التي نعيشها الآن.. أنا وهي..

**«مزيكننا عالسي دي.. والسؤال واقف بحيرة  
نسبحي لبي الرقصة دي.. لو نكون رقصة  
أخيرة؟»**

شدني لحنها وكلماتها فأخذت سلمى وبدأنا الرقص بالفعل، كثنائي ينسجم مع الحياة نفسها، ولأضع الصورة كاملة، لم نكن بهذا القدر من الرومانسية.. بل كنا نضحك ونغني ونرقص.. ونسجم مع الحياة..

بخفة ظل تمتعنا بها.

يوم طويل انتهى ببوست على صفحة #الموقف.. من نوع آخر لم  
أعتد عليه... ونمت.

\*\*

## 15 أغسطس 2017

استيقظت في اليوم التالي مبكرًا دون سبب، وجدت تلك الأغنية  
مازالت تعمل متكررة، فقد نامت عليها سلمى البارحة.. أيقظتها  
في مرح وحماس.. كنت أشعر بالاطمئنان الليلة الفائتة.. وربما أردت  
أن أرى ذلك الاطمئنان على وجهها أيضًا، انتظرت ابتسامتها لتظهر  
وترضييني، ولكنها لم تستيقظ بعد.

ظلمت أحرکها يمينًا ويسارًا، فانقلبت على ظهرها في حركة إرادية  
مني، كانت يديها باردة للغاية ظننت أنها مريضة ولكن فوجئت عندما  
تركت يدها في قلق بسقوطها دون أي ردة فعل، أكره قول هذا أو حتى  
كتابته، أكره نطق أحرفه أو حتى ترتيبها بجانب بعضها البعض..  
ولكنها الحقيقة.. ماتت سلمى!

\*\*

**لأولئك الذين غابوا رغم  
إصرارهم على البقاء.. سلامٌ عليكم**

«الطبيب النفسي ممكن ينصحك ويهز فيك  
بس مش ممكن يقرر اللي غابوا يعودوا ليك»

**عمرو حسن**



## 25 سبتمبر 2017

لم تكن روحي المهترئة بالقوة ذاتها لتجيب على مثل هذا السؤال - على الأقل في الوقت الحالي - أخذت أكتب إجابات بحثت عنها طويلاً وتعثرت في طريقي إليها ظناً مني - بحسن نية - أن الطريق ما بين السؤال والإجابة خط مستقيم.. ورغم علمي بأني أبحث عن إجابة مختصرة وواضحة، وثقتي بأنني سأجدها عندما أبدأ الكتابة.. ولكنني كتبت السؤال بديلاً:

«إذا كانت الحياة مجرد رواية ضخمة، فكيف لنا بمعرفة النهاية، لتغييرها أو حتى تقبلها؟»

أطرت رأسي مفكرة قبل أن تنفجر الأسئلة التي خرجت في شكل حبر يزين أوراقى البالية، وكيف لنا أن نضمن أننا لسنا جزءاً من رواية في خيال مؤلف مجنون، يهوى اللعب بأبطاله - نحن؟ - كيف لنا التأكد من أن هذا الكون بالرغم من وقاره وتميز ميزانه بالعدل الذي لا ينضب، أنه ليس عبثياً، لأنه ليس كوناً من الأساس؟.. وربما في النهاية.. في اللحظة التي تسبق إسدال الستائر مباشرة، نكتشف أننا

لسنا سوى دمي محرقة بدقة متناهية لتؤدي هذه الأحداث - إجباراً أم اختياراً - ... باختصار:

كيف لنا أن نتيقن بأننا هو ما نظنه عن أنفسنا؟ ولسنا ما يظنه الآخرون عنا في كواليس لا نعلم عنها شيئاً؟! وإذا تجاهلنا النهاية تركيزاً على لحظتنا الحالية، فكيف لنا الاتزان بين سالب الحياة وموجبها، خاصةً إذا قل الأخير وندر؟ كيف لنا أن ننتج حياة هادئة، معتدلة الشحنة؟.. وهل حياة كهذه تستحق أن نحياها؟ والأهم.. هل نستحق نحن حياة صافية لا شوائب فيها؟! أو أن الأمر كله مجرد حظ؟! \*

\*\*\*

بعد أن ماتت سلمى، بات العالم باهتاً، كما صرت أنا تماماً.. بهتٌ وبهتت ذاكرتي أيضاً حتى لا أتذكر اليوم المشئوم.. يوم وفاتها. آه يا سلمى.. ماتت دون أدنى سبب أو مرض، توقف قلبها وماتت.. انتهى العمر الافتراضي الذي كتبه الله لها ولم ينته عمري أنا.. ماتت وتركت معي أربع سنوات يتامى لا تكفيني ذكرياتها حزناً ولا نحيباً.. عشت سنوات أبحث عن رفيق يؤنس عالمي الخاص، أتت هي لتتير عالمي وتخصه لها وحدها.. ثم ذهبت كما جاءت وأخذت معها كل عوالمي.. أصبحت منطفئة لا أبحث عن شيء.. لا عن سعادة ولا عن غيرها.. وقنعت قناعة تامة بأن هذا هو كل ما سأخذه

في حياتي من فرح ووجع امتزجا فشكلا حياة لا تبس بها.. ولكنها  
بُست الآن.. بعد موتك يا سلمى.. من أجل تعزيتك لم أر شعاع  
ضوء ينير دواخلي إلا وأطفأته.. هدمت أحلامي وكسرت طرقاتي..  
وفضّلت الوحدة والعزلة.

لا أكاد أروي تفاصيل هذا اليوم حتى أجهد بالبكاء، أصرخ  
كالأطفال، أرفض كل احتضان لا أشعر داخله بسلمى، كنت أتلوّى  
في سرير المستشفى كالمجنونة، يرقص جسدي حزناً، أفتح عيني فجأة  
وأصرخ من كابوس مائل، يراودني شك بأن هذا كله ثمة كابوس  
أفقت منه، ولكن.. ما هذه المستشفى؟ وكيف ولماذا جئت إلى هنا؟..  
تخرج حروف لم أعد أنفوه بسواها (س ل م ي) ليأتي أبي أو أمي أو  
أي شخص لم أميزه لأنه لا يشبه سلمى في شيء.. ليسألني أسئلة غير  
منطقية بالمرّة، أجيبها جميعاً بالرفض.. بينما لا يستطيع أحد أن يجيب  
سؤالي الوجودي.. الذي اختفت إجابته من الوجود.. أين سلمى؟

اعتدت على سماع دقائق قلبي متسارعة، متنفضة كأنني ألهث  
جرباً في ماراثون عملاق، اعتدت الرؤية المشوشة التي تليها عتمة تامة  
قبل أن أسقط على الأرض مباشرة.. حتى الأقراص التي أشعر بهم  
يدسونها في فمي رغماً عني اعتدت عليها، وباتت حياتي كما لم تكن من  
قبل.. فكل فواجع الماضي بالأمه وأوجاعه لا تساوي غرق عيني في  
دموع لا نهاية لها، أو وجع دُسه الموت في قلبي كالخنجر المسموم، فإن

لم أمت بطعنته، مُتُّ بِسُمِّه.

لا أتذكر سوى خطوط عريضة من هذا الفصل في حياتي، خلال شهر التعافي من الصدمة العصبية التي عانيت منها..  
أتذكر يوم أن صرخت باسمها ولم أستطع قول شيء آخر وكأن اسمها وحده استغاثة كافية..

أتذكر أمها التي تماسكت أمام مرضها وكبر سنها لسنوات.. وها هي تقع في غيبوبة سكر طويلة الأمد لما تلقت الخبر..  
أتذكر أبوي اللذين لم أرهما بهذا القلق المفرح عليّ من قبل.. فهما أكثر من يعلم: أن الحياة أضيق من أن تسعني بدونها..  
بل بدت الحياة حزينة عليها، فلم أصادف أن أرى طفلاً يضحك في الشارع صدفة، أو أن أرى بعض الأصدقاء يتهامون ويضحكون بحب.. وكأن الحياة سلبت الحب من الجميع، كما سلبت مني الموت سلمى.

أتذكر إعيائي النفسي والجسدي الذي استلزم مستشفى وضعوني به كالجثة الحية، وأدخلوا بجسدي محاليل جعلتني على قيد الحياة..  
ولكنها لم تحيني.

الحياة والموت، بطلان لقصة طويلة تصارعت عليها أجيال عدة، هما السبب الرئيسي لكل فرح وحزن، هما المبتدى والمنتهى، وكل شيء في هذه الحياة يحدث تبعاً لهما.. وبأمر منهما، تبات الأيام حلوة تارة، ثم

تغدو فحاةً مُرة.. لا طعم فيها لأي شيء قد نشتهيهِ.  
 ورغم محورية دورهما في رواية خلقها الله لسبب ما..  
 فإنهما لا يظهران بسهولة، تمامًا كما لا يختفي أثرهما بسهولة..  
 ترتقي من شعورك بالسعادة، لتشعر بالشغف، ثم النشوة، وتصل  
 إلى أبعد من ذلك.. فتحيا، مرات قليلة في حياتك كلها.  
 وفي منتصف الطريق عندما لا تكون جاهزًا أو مستعدًا لأي شيء..  
 يأتيك الموت ليأخذ منك عزيزًا ليحييه في عالم آخر.. وبميتك أنت في  
 عالمنا هذا.

وبعيداً عن ذلك.. فنحن الأدوار الثانية، والثانوية.. نحن من نحرك  
 البطلين للحياة القصوى أو الموت الأبدي.. ورغم عدم تضادهما في  
 المعنى فالموت قد يعني بداية حياة والعكس صحيح، ولكن يبقيان هما  
 الأبطال.. الكفتين اللتين نكافح - نحن البشر - كل المكافحة من أجل  
 أن نصل لأحدهما.. راضين.. سعيدين.. مستعدين.

واكتشفت بعد مرور شهر ونصف تقريباً أن هناك بطلاً ثالثاً لهذه  
 الرواية القاسية، سمي بالنسيان.. يستلزم فقط بعض الصبر ليأتي..  
 لم تعد الأفلام تلمس شيئاً بداخلي سوى تلك الحادثة، فلم أشاهد  
 أيّاً منها منعاً مقدماً لسوء الأوضاع، لذلك عندما تعافيت.. التزمت  
 الصمت إلا من قليل، كان أبواي معتادين على ذلك في الأوقات  
 العادية التي تحدث بها معضلة ما.. فما بالك بهذا الأمر الواقع.. سيء

كفاية؟ ولكنه واقع .

وهكذا تعاملت يوميًا، أستيقظ من نومي بإنهاك مهما طالت ساعات نومي.. أتجهز للخروج في ألبسة غلب عليها اللون الأسود.. أقبل أبويَّ سواء كانا متيقظين أم نائمين وأتركهما وأذهب للمستشفى في عجلة من أمري لألحق بميعاد الزيارة، وكأن شيئًا جديدًا سوف يحدث اليوم لم أره مسبقًا.. ولكنني دائمًا ما أرى نفس المشهد، عندما أدخل إلى غرفة مدام لبني - أم سلمى - التي أحيطت بأجهزة رسم القلب والتنفس الصناعي.. أتحدث كثيرًا، أجهد بالبكاء، ورغم علمي بأنها لا تسمعني ولكن كان ذهابي إليها هو الشيء الوحيد الذي يذكرني بـ سلمى، وكأن هناك شيئًا لا يذكرني بها!!  
ربما لو طاف ملك النسيان حول هذه الغرفة، لعلق هنا ونسي ما جاء من أجله..

بدأت حديثي اليومي وأنا أنقل نظري بين جسدها النائم في سبات عميق، وبين جهاز رسم القلب الذي أحدث صوت رنينه المتقطع اطمئنانًا في قلبي رغم توتره.. شددت أحد الكراسي وجلست بجانبها، أمسك بيدها، وأتذكر معها ذلك اليوم.

## 15 يناير 2015.. جامعة القاهرة

كنت يومها أبكي كالأطفال مع صديقتي الجديدة (رانيا) التي تعرفت عليها منذ بداية السنة الدراسية الأولى لنا في الجامعة، بكيت

من دكتور المحاسبة الذي سخر مني في امتحان الشفوي الذي لم أستطع الإجابة فيه عن أي سؤال طرحه عليّ.. ولكن حدث حينها شيء جعلني أتوقف عن البكاء.. فقد سمعت ضحكة إحدى البنات في غرفة المحاضرات الصغيرة التي كنت أجلس بها، التفت أبحث عن صاحبة هذه الضحكة - الرقيقة - إن جاز القول وابتسمت رغمًا عني عندما رأيته لأول مرة.. بسيطة.. اجتماعية.. منطلقة بكل حيوية.. سألت رانيا عن اسمها فأخبرتني وهي تضحك «دي سلمى.. حاولي تتعودي على ضحكتها لأنها هتضحكها كثير» عرفتنى إليها، لم أزل أتذكر هذا المشهد..

- أنا سارة.

- إزيك.. أنا سلمى.

قالتها بابتسامة فضولية مستكشفة وجهي الطفولي الذي احمرّت وجنتاه من البكاء.. تغيينا عن المحاضرة القادمة وجلسنا نتحدث ونتسامر.. أخذنا صورة تكاد تكون معتوهة، وبكل براءة.. بدأت قصتي مع سلمى.. من هذا الوقت ومنذ هذا اليوم ونحن نحتفل بذكرى هذا اليوم كلما مرت عليه سنة أو اثنتان.. ورغم أن تلك الصورة لم تنل إعجابنا ولكنني مازلت أضعها في برواز صغير على الكومود الخاص بي بجانب سريري، كانت سلمى كلما رأيتهما ضحكت مستهزئة من أشكالنا، حتى إنها كادت بالأمس أن تكسرها

لولا أن.....

توقفت عن الحديث فجأة وكأن ماما لبني تنظر لي الآن بشفقة..  
وعدت أهمس لنفسي..

بالأمس؟؟! أي أمس؟ ما الذي جعلتني أنساه بالضبط يارب!!

\*\*\*

## 1 سبتمبر 2015.. قهوة بلدي في وسط البلد

نظرت لسلمي وعيناى متقدة بالحماس، متوهجة بالشغف..  
نظرت حولنا لأجد الشباب والبنات جميعهم يجلسون دون ريبة أو  
خوف أو حتى شغف مثلي، بل إن هناك بعض البنات يدخن ويشربن  
الشيثة.. قلت لسلمي بعد فترة من الصمت:

- يااه.. أنا مش مصدقة إنى قاعدة على قهوة بلدي.

نظرت لي بسخرية وقالت:

- أنا كنت متخيلة إنك هتطلبى فلوس.. موبايل.. سفر.. مش

نقعد على قهوة!!

قلت وعيناى مازالتا مثبتتين عليها بنفس الحماس:

- قهوة بلدي.. أنت متخيلة؟ متخيلة إننا قاعدين على قهوة

بلدي!! أنا قعدت على قهوة بلديييييي

وصرخت في جملي الأخرية بانفعال وحماس، لتكتم فمي

بيدها وهي تنظر حولها لترى على وجوه الجالسين نظرات تعجب واستنكار.. فضحكت ضحكتها التي تبدو - رقيقة - فجدبت انتباههم أكثر.. وغرقنا في الضحك سويًا..

ثم تحدثنا عن (أحمد) الذي ارتبطت به سلمى منذ فترة لا تزيد على السنة، وكانت مترددة في أخذ قرار إنهاء تلك العلاقة، ورغم ندرة علاقتي العاطفية ولكنني قلت دون تردد وتحدثت كخبيرة:

- اعلمي مع نفسك زي ما عملتِ معايا دلوقتي .  
تحولت عينها إلى علامات استفهام وتعجب، فأكملت قبل أن تتساءل:

- يعني أسألي نفسك، إيه الحاجة اللي نفسك فيها دلوقتي حالاً،  
اللي لو عملتيها هترتاحي مها كانت مجنونة ومش منطقية..  
اختتمت وأنا أضع قدمًا فوق أخرى وقلت:

- **Then do it.**

دائمًا ما كانت تردد «سبتمبر شهر الأحلام»، كانت تنتظر ذلك الشهر الخريفي من عام لآخر، في هذا اليوم أخبرتني بحماس معدي، أنني كنت حلمها منذ أعوام.. أن تجدني وظلت تبحث عني، وها هي وجدتني فقررت أن تسخر أحلامها كل سبتمبر لسعادتي فقط.. وبما إنني لم أعد حلمًا من الآن، فقد قررت أن تحقق لي أي رغبة أطلبها.. ورغم تعجبها لطلبي البسيط، ولكنها أعجبت ببساطتي وحرיתי التي

اكتنفتها في الهواء الطلق وفعلت شيئاً لم أكن أجروء أن أفعله بمفردي، دائماً ما كانت تمنعني بالبسيطة الباحثة عن السعادة، حتى إنها كانت تسجل رقمي على هاتفها بـMiss Happiness.. لتذكرني دائماً برحليتي في البحث عن السعادة، والسؤال.. هل انتهت رحلتي تلك لتوقفها عن مرافقتي فيها؟ أم أن ما رأيته معها قبل أن تتركني هو كل السعادة المطلقة؟

\*\*

## 15 سبتمبر 2015.. منزل سلمى

عندما أخذت سلمى قرارها بشأن علاقتها العاطفية بـ (أحمد) وتركته، لم يكن من السهل أبداً عليها أن تتحمل عناء العواقب وحدها، فبعد أن علمت بأنها تسكن بجانبها على مقربة من منزلي، قررت أن أذهب إليها لنواجه الأمر سوياً، حينها تعرفت على أمها.. سيدة حنون تبدو عليها الأريستقراطية، كانت سعيدة بالجانب الآخر من سلمى الذي لم يظهر إلا معي.. ظللت أسمع كلمات سلمى التي اختفت وراء تنهيدات بكائها، وتركتها تتحدث عن العلاقة السامة التي استنزفت مشاعرهما.. فقط ربتُّ على كتفها وتركتها تبكي بحرقة دون انقطاع، وقيمت أنا بدور المشاهد الصامت.. وعندما انتهت قلت لها بابتسامة وأنا أنظر لها بحب:

- سلمى حبيبي، مش أنا صحبتك؟ عندك شك في كده؟!  
أومأت برأسها أن لا.. فأكملت أسألتي:

- قعدتي كام سنة تدوري على صحاب كويسين؟ ولما كنت بتلاقي  
كنت بتشكي إنهم مش صحاب بجد مجرد ما يزعلوكي أو تزعلي  
منهم؟

مسحت دموعها كطفل يريد اقتناء قطعة حلوى وقالت:  
- مش فاهمة.

قلت وأنا أصيب مقصدها تمامًا:

- الحب شبه الحاجات اللي أنتِ مريتي بيها، شبه أحمد ده واللي قبله  
واللي هيجي بعده، بس عارفة ليه بقول شبه؟ عشان الحب لما ييجي  
هتعرفيه.. لأنه ببساطة مش شبه حاجة راحت ولا هيبقى شبه حاجة  
جت..

لم تمنع ابتسامتها المندهشة التي كشفت عن فهم واستيعاب وقالت  
بطفولة:

- زي ما لقيتك كده؟

هزرت رأسي وسرت قشعريرة في جسدي، أسكنتها باحتضان  
سلمى لتهدأ أوصالي وأدرك أنه من الآن فصاعدًا.. لا يوجد شيء  
محزن، مادامت سلمى معي..

آه يا حبيبي.. لبتك تأتين وتمسحين دموع أحرقت وجنتي كنفطني

زيت سقطتنا في وعاء محترق السخونة، لا تملكنا إلا السكون الذي يسبق الغليان..

نزلت وجلست أرضاً أمام سرير (ماما لبني) وأمسكت بيدها، ورحت أبكي في راحتها.. أجهشت بالبكاء، أو إن جاز القول أجهش البكاء بي.. سألت نفسي آلاف الأسئلة الوجودية ولم أجد أي إجابة ترضيني.. أخذت يدها ووضعتها فوق صدري الذي احترق نبضاً بأنفاسه المتألمة.. ورحت أصرخ مدركة واقع أدركه مئات المرات في اليوم الواحد.. راحت سلمى.

\*\*

## 26 أكتوبر 2015.. شرفة منزلي

كان يوماً عصيباً.. ذاك الذي قررت فيه بعد عدة محاولات باءت بالفشل أن أعبر عما أكتمه من مشاعر لشخص أعجبت به سمي بـ«كريم».. ولم أستطع مقاومة تلك الرغبة الجريئة ولكن بالطبع كان لا بد أن تمر رغبتني على فلتر تنقية سُمي بـ«سلمى».. التي شجعتني أن أفعلها الآن لأزيح عن نفسي عذابها.. ورغم توهج رسالتي بمشاعر فياضة، جاء الرد بارداً مقتضباً.. خالي تماماً من أي مشاعر، وبكل بساطة يخبرني أن مشاعري المندفعة تجاهه هي مشكلتي الخاصة، وأنه لا يمكن لي تلك المشاعر الفياضة ولا جزءاً منها حتى!

كانت خلايا جسمي تحترق كما لو كنت أواجه شمسًا حارقة غير متوقعة..

أتذكر أن جاءت سلمى إليّ عندما علمت بنحبيبي، وكأنها أغمضت عينًا وفتحت الأخرى لأجدها أمامي تحتضني، في الحضن الذي وسع كل شيء مهما ثقل، ورغم إيمان كل منا بأن هذه العلاقة مع كريم هذا، ليست بصادقة.. وربما ليست بعلاقة أساسًا.. ولكن شيئًا ما.. جعلني أنتحب، ربما سلمى نفسها وحضنها الذي ساعدني على التخلص من ذكرياتي المؤلمة.

والآن.. أين هي؟ توجهني.. تساعدني لأرتكب أخطاء حمقى بل وترتكبها معي.. أين حضنها الذي احتفظت بداخله بذكرياتي السيئة جميعها؟ ولماذا؟ ولماذا كان الحضن الأخير مؤلمًا، جافًا، باردًا.. رغم حرارة جسمي ودفئه؟ وكأن الموت لم يكتفِ بأن يأخذها مني، بل أهداني بديلًا في حضنها الأخير، وأعاد لي - في مفاجأة غير متوقعة - كل سيء رميته بداخلها، حتى تُدفن خالية مني.. وتعود إليّ ذكرياتي السيئة والحلوة التي باتت سيئة منذ غيابها، أين أنت يا ملك النسيان؟؟ أين ذهبت؟؟ ضللت طريقك؟؟ ها أنا هنا.. في غرفة باردة بمستشفى.. أمسك بأيدي دافئة خصّصت أم سلمى.. وأترجّأها.. هلا نعود بالزمن وتلديها لي مرة أخرى؟!

\*\*

## 31 ديسمبر 2015 محل لبيع الإكسسوارات

ذهبت لأشتري بعض الزينة الخاصة برأس السنة الجديدة، فقد اعتدت أن أغير ديكور غرفتي كل عام وأزينها بشجر الكريسماس وبابا نويل وربما رجل الثلج وبعض الكرات.. عندها هاتفني سلمى لتخبرني في صوت لاهث أنها تحتاجني في منزلها الآن، وعندما سألتها عن السبب أخبرتني أنه قد حدثت مشكلة لن تستطع أن تقصها لي في الهاتف.. ذهبت إليها مذعورة رغم علمي بأن الساعة قد قاربت على الثانية عشرة، ولكن لن أتأخر، نصف ساعة فقط وسأكون بالمنزل.. أخذت الطريق ركضاً وقلبي يخفق وأنا أتذكر كلماتها المضطربة وصوتها الباكي، وطلبت من الله أن يكون الأمر خيراً.. وعندما وصلت وطرقت بابها أكثر من عشر مرات، فتحت أخيراً وهي ترتدي قناعاً لامعاً على عينيها، تنفخ في لعبة هي أشبه بالبوق منها إلى الصفارة.. وتقول بابتسامة ماكرة:

- Happy new year

فقط جعلت أنفاسي اللاهثة تتحدث بدلاً عني، زجرت عيناى غضباً بينما هي غرقت في ضحكاتها الماكرة وقالت بحب هذه المرة:

- كل سنة وأنتِ معايا!

انهلت عليها ضرباً فتزحزحنا إلى داخل الشقة وأغلقتُ الباب

بعنف وأنا ما بين غضبي وابتسامتي التي لم أستطع منعها، ولكنها قررت أن تسكت شرارة الغضب إلى الأبد فأخذت من جانبها هدية كبيرة على شكل مكعب ملفوفة بشرائط الهدايا.. لم أملك إلا أن أحتضنها وأخبرها كم هي مجنونة.. وستظل مجنونتي الدائمة.. فتحنا تلك الهدية سوياً.. شجرة كريسماس صغيرة، عُلقَت بها بجانب - الكرات والحلوى - صور صغيرة أصغر من كف اليد، لأعتى وأجن لحظات مرت علينا، بما فيها صورتنا المعتوهة يوم أن التقينا لأول مرة.. وفي أسفل الصندوق وجدت كارتاً كتب فيه بخط رقيق:

- بحبك يا مجنونتي.

ورغم تميز كل ما في هذا اليوم، إلا أنه تميز في ذاكرتي بدموعي المنهمرة في فرحة وغير تصديق، بأن يستجيب الخالق لدعوة ظننتها مستحيلة، ولكنها أمامي.. احتضنها.. ولا يكفيني إلا أن أظل واقفة أمامها.. وأبتسم عندما أرى تلك اللمعة في عينيها، لمعة اعتقدت أنها لن تنطفئ أبداً.. وتذهب من كل مكان.. إلا في ذكرياتي.

\*\*\*

## 11 أبريل 2016.. كافيه

جاءت سلمى إليّ بالأخبار السعيدة، قائلة إن زياد - زميلنا في الكلية وحبها من طرف واحد - قد انفصل عن حبيبته، وهي الوحيدة

التي تقف بجانبه الآن في محنته، فتقربت علاقتها إلى صداقة قوية ترابطت يوماً بعد يوم، استيقظت سعيدة بيومها ليس فقط لأنه عيد ميلادها، ولكنها لأنها متفائلة أنه سوف يجهز شيئاً ما لها، لدرجة أنها رجتني أشد الرجاء منذ أسبوع، إن كنت سأجهز لحفلة أو شيء ما بخصوص عيد ميلادها فلا أخبره أو أدعوه، وأتركه لتراه ماذا سيفعل من تلقاء نفسه، وليته لم يفعل..

تفاجأت سلمى يومها ببوست بارد، سخيف على الفيسبوك ورسالة لا تختلف عنه كثيراً في تهنئة تكاد تكون أقرب للتعزئة:  
- كل سنة وأنت طيب ياسطاللا وعقبال مليون سنة يارب.  
وكان رد فعلي مفاجئاً أيضاً:

- ياسطى؟! هو بيحتفل بعيد ميلاد عبده سواق التوك توك؟  
التوت ملامح سلمى في ضحك ممتزج بحزن لا يتزحزح، ربت على كتفها وذهبتا إلى كافيه بعيد في مكان لا تختلط فيه ذكرياتنا برائحته أو بمقاعد، ومن دون مقدمات أعطيتها الهدية وقلت كمن أخذ أقراباً للشجاعة:

- أنت أحلى حاجة حصلت في حياتي، وعشان كده هفضل كل سنة أحتفل بعيد ميلادك لوحدنا، لأن مفيش حد هيشاركني فيكي.. لا زياد ولا أي حد ممكن ياخذك مني.  
أطرت نظري للهدية في علامة لأن تفتحها، فتحتها لتجدها علبة

مكياح ضخمة من ماركة عالمية كانت ترغب بها دائماً، وعلم الله كم تكلفت فيها.. قلت بحب:

- دي عشان تبقي حلوة في عيون الناس اللي هتشوفك.  
وقبل أن تنطق أخرجت من جيبي سلسلة على شكل كتاب مفتوح  
طبع عليه صورة لنا، كتلك الدلائل القديمة التي صنعوها ليجدوا  
بها بعضهم البعض.. قلت وأنا أعطيها إياها:  
- ودي عشان أنا شايفاكي علطول جميلة..  
ثم داعبتها وهي تمسح دموعين غدرا بها وسقطا خلسة:  
- لو قلعتها هشوفك وحشة!

ضحكت واحتضنتني بقوة، ألبستها السلسلة واحتضنتها مرة  
أخرى، احتضاناً جعلني أنسى ذكرياتي المؤلمة وقلبي المحطم وليالي  
السوداء وما دفعته في كل هذه الهدايا أيضاً.  
أين أنت يا ملك النسيان!!!

\*\*

## 12 أغسطس 2016.. مطعم صيني

عيد ميلادي.. قررت سلمى نيابة عني أن نقضي هذا اليوم سوياً  
متنقلين بين مختلف الأماكن الغربية والمختلفة، خرجنا منذ الصباح  
ودهبنا في رحلة نيلية وركضنا في شوارع المعادي صباحاً، والآن نأكل  
طعاماً لا نستطيع نطق اسمه من ضمن قائمة مطولة في مطعم صيني،

ورغم غرابة ما كنت آكله، ولكنني تعمقت أنا وسلمى بالحديث حتى انتهينا من الطعام كله، وسبقتها للحمام لأغسل يدي وأعدّل من ملابسي ومكياجني لننطلق إلى مكان مجنون آخر لا أعلم عنه شيئاً، وعندما عدت لم أجد سلمى!!

كانت المنضدة فارغة وباقي المطعم خالياً من البشر تقريباً، ناديت على الجرسون وسألته عن سلمى فأخبرني أنها في الدور العلوي حتى تستطيع شحن هاتفها، فلا توجد هنا أي أكباس أو فتحات كهربية!! هفف.. ظننت أنها قد ورطتني في حساب المطعم.. ههههه.. ما هذا؟ لماذا الطابق العلوي مظلم ومعتم هذه الدرجة.. ما هذا السكون؟؟؟؟ سلمى؟؟؟؟

فُتح النور فجأة لأجد خمسة من أصدقائي ملتفين حول المنضدة التي حملت تورتة كبيرة امتلأت بالشموع وكان مطبوعاً عليها إحدى الصور المحببة لي.. سلمى ورانيا وتركبي صديقنا من الكلية وزباد أيضاً.. أتذكر هذا اليوم كالبارحة، أتذكر ضحكاتي إلى الآن.. أتذكر شغفي بالحياة.. إدراكي حقاً لمعنى الصداقة.. وحب لا ينتهي مهما طالت المسافات..

حبيتي.. لقد تعاهدنا ألا نفرقنا المسافات والأمتار مهما بلغ عرضها السماوات والأرض.. أنظنيها قد تفرقنا ارتفاعاً؟ فأنا فوق الأرض وأنتِ تحتها، ورغم ذلك تطيب روحك في الجنة.. وألتهب

أنا اشتياقًا وألمًا في النار.. ألم تفتقديني؟!

\*\*\*

لم تكن سلمى بالنسبة إليّ مجرد صديقة طيبة تحلو بطبيتها الدنيا، ولكن كانت (أنا) في عالم موازٍ.. كانت المرأة التي لا أرى نفسي فيها إلا كما أتمنى أن أكون، ربما بالغت في حبي أو تعلقتي بها.. فالحياة لا تتوقف على وجود شخص بها، وإنما تتحرك في دأب غير مكرثة بأهاتنا ودموعنا.. ولكن ما اكتشفته بعد غياب سلمى أسقط هذه النظرية أرضًا.. فالحياة لم تعد كثيبة فحسب.. وإنما لم تعد حياة أصلًا! كانت المستشفى قائمة بشكل مخيف رغم أنني اعتدتها.. لا تحوي سوى روائح الموت والفراق والوجع، فهذا هو نفس المكان الذي أتيت إليه منذ شهر، والذي أذهب إليه أكثر من منزلي.. وهو نفسه الذي ترقد فيه مدام لبني في غيبوبة ظنتها مطولة.. ولكنها كانت قصيرة.. جدًا!

وجدتها فجأة تشد على يدي، تنظر إلى ملاحي المتهالكة التي تؤكد ظنونها، تحدثت بصعوبة:

- سلمى.. سلمى فين يا.. سا..رة

لم آخذ إذنا للبقاء، ظللت أبكي على راحة يديها التي لم أتركها لحظة وقلت:

- سلمى... ماتت...

- ماتت إزاي !!! أنت بتقولي إيه؟؟

نزعت يدها من يدي ونظرت لي بغضب واستوعبت الخبر لأول مرة، أحضرت الأطباء المختصين بحالتها الذين حاولوا تفحصها بينما هي تصرخ وتبعد أيديهم عنها في غضب.. أمر الطبيب الممرضة بأن تأتي على الفور بحقنة مخدرة ولكن قبل أن تمس أقدامها عتبة الباب.. استقام خط رسم القلب في الجهاز المعلق أمامي، ليحدث صفيراً مزعجاً ومخيفاً.. ليعلن انسحاب روح أخرى أحببتها وعشقتها لعالم آخر أنقى من عالمنا هذا، نظرت إلى جسد مدام لبني تغط في سبات عميق، نوم أبدي.. وتوقف قلبها عن الإخفاق.. وأخفقت أنا آلاف المرات في حياة أحاطتني برائحة الموت وألبستني إياه بقوة.. ماتت ماما لبني.. ليختفي أثر سلمى كاملاً من حياتي.

\*\*\*

يقولون دائماً أن ضربتين على الرأس قد تحمد قواك إلى الأبد، ولكن بشكل ما لم أفسره إلى الآن.. ذهبت يومها إلى المنزل في صدمة دون إغماءات أو حتى بكاء، دخلت إلى المنزل ارتيمت في حضن أمي صامتة لا تنزل مني دمعة، بينما هي تربت على كتفي وتخبرني أنها قد علمت بالخبر عندما اتصلت بالمستشفى اليوم لتطمئن عليّ بعد أن اعتدت النزول دون هاتفي، وكانت قلقة مرعوبة على ما وصلت إليه من حال، ثم نادى أبي بفرحة متوترة:

- سارة جت يا صلاح.

فخرج أبي ليطمئن عليّ ويعزيني مرة أخرى في أم سارة.. لم أكذبه القول فالبقاء فعلاً لله وحده، وفي حالتي هذا فربما أصبح التالية وأرتاح من وجعي هذا إلى الأبد.

دخلت إلى الحمام لأغسل جسدي من أوجاعه التي فاقت ذنوبه، حينها رن جرس الباب - كعادة منزلنا في الفترة الأخيرة لا يخلو من الضيوف - طرقت أمي الباب عليّ لتستعجلني أن أخرج لصديقتي.. أي أصدقاء؟ لا أريد مقابلة أحد ولا يوجد لدي أصدقاء منذ أن ماتت سلمى.. مازالت الكلمة ثقيلة على لساني.. ماتت سلمى..

آه يا سارة دائماً ما تضيعين عمرك بالتفكير، كفاك.. لم تكن سلمى لتسعد بتفكيرك هذا..

دخلت إلى غرفتي أبحث عن ضيفي الثقيل الذي جاء إليّ الآن ظناً منه أنه سيحل عقدتي بعصاه السحرية، ولكنني تسمّرت عندما وجدت على مكثبي علبة ملونة مزخرفة بألوان مبهجة، وتفوح منها رائحة سلمى!! خفت وارتعدت أوصالي، وأخذني عقلي إلى خيالات لا تمت للواقع بصلة، اقتربت من الهدية أنفحصها، لمستها بحذر وكأنني أمسك بأسلاك قبلة مؤقتة.. وقبل أن أفعل أي شيء آخر.. سمعت صوتاً من ورائي.. أفرعني:

- دي هدية عيد ميلادك.. هدية سلمى..

التفت بذعر لأجد رانيا تقف أمامي وتنظر لي بضعف وشفقة لم أعتد عليهما منها، وكما تناسيت ذلك اليوم المشؤوم في لحظات نمتها ولم أهنأ بها.. نظرت لعيني رانيا المتورمتين، وتذكرت من خلالها كل شيء حدث بالتفصيل



## 15 أغسطس 2017 منزلي

عدت إلى منزلي متوترة من تأخري لبعد الثانية عشرة صباحًا، ولكنني فوجئت بالجميع مبتسمًا وسعيدًا لقدمي، يمزحون معي ويسخرون من بياتي مع سلمى المستمر.. لم أفهم شيئًا فأنا لم أر سلمى منذ أسبوعين، بل لم أجد على مكالماتها حتى لا تلومني عن انقطاعي عنها، وقبل أن أفهم أي شيء وجدت سلمى تخرج من غرفتي، تمنزج نظراتها باللوم والفرحة في ذات الوقت، أخذتني للدخل وطلبت من أمي برفق أن تحضر لنا بعض الطعام، تفحصتني جيدًا واستجوبتني كعادتها في كل ما فاتها في أحداث، سردت لها قصة سيف الذي ظهر في حياتي مؤخرًا وتصرفاته غير المفهومة، وماطلت هي في الكلام حتى يتسنى لأمي وأبي أن يجهزا ما تبقى من زينة عيد ميلادي، لم يكن في داخلي ذرة شك أنهم يدبرون شيئًا، فقد كنت ممتنة لسلمى لتغطيتها على تأخيري باختراعها كذبة الأجنداث هذه، بل وأخبرتها أيضًا أنها هي من أفنعتني أن أمكث خارج المنزل طويلًا حتى أتأخر قدر

المستطاع فيرتبوا الأمر.. وقد انطلى عليها كل ذلك! وربما لم يصدقا أي حرف مما قالته، ولكن إذا تدخلت سلمى بالموضوع بات كل شيء أيسر من تدفق الماء..

خرجت للعشاء المزعوم وفي داخلي ألف سؤال.. لماذا فعلت سلمى ذلك؟ وكيف علمت بأني سأتأخر اليوم لتخترع كل هذا؟ والأهم.. لماذا تفعل هذا لي؟؟؟ عليها أن تكون غاضبة مني الآن.. عليها أن تحاصمني لإهمالي لها وإخفائي عنها كل أموري المهمة وعدم الرد عليها لأكثر من أسبوعين.. فأخر شيء علمته عني كان عيد ميلاد رؤى عندما سردت لها ليلاً ما دار بيني وبين سيف نعم.. عليها أن تكون غاضبة جداً، لا أن تأتي وتخفي عن والديّ الحقيقة لتمنع تويخها اليومي و.....

حفلة عيد ميلادي!؟

رغم ابتسامتي التي اتسعت في دهشة، ولكنني مصدومة.. نظرت لسلمى التي فسرت عينها إجابات كل أسئلتي.. وقالت بصوت حنون معاتب:

- كل سنة وأنت طيبة.

احتضنتها ومن ثم أمي وأبي اللذين بدت عليها الفرحة لطقسنا السنوي.. وكانت سلمى جزءاً أساسياً من هذا الطقس.. كانت صديقة بنكهة الحياة.

وبعد الضحكات التي طالت حتى الصباح، واحتفلنا حول كعكة عيد ميلاد منزلية صنعتها أمي بمهارة، وألعاب الورق التي لم نكتفٍ منها.. أخذت أمي هدية سلمى خاصتي وأخفتها عني كعادتها حتى لا أفتحها إلا يوم ميلادي.. أي بعد أسبوع من الآن.

وفي نفس الليلة باتت سلمى معي، حدثت أمها أولاً لتستأذنها وأخبرتها عن عيد ميلادي فوافقت على مبيتها معي.. لدرجة أن سلمى أخبرتها أنها تحبها فوق العشر مرات دون أدعى سبب، برغم أنها دائماً ما تبات معي!

وبعد مكالمة مطولة مع أمها، دخلنا إلى غرفتي لتتسامر وتحدث عما تبقى في موضوع سيف وبعد أن سمعت رأيها، بدأت فصلها من المعاتبه واللوم على ما فعلته بها الأيام الماضية، تركتها تتحدث بل وبكت أيضاً فأخذت أعتذر دون توقف.. حادثني عن كل ذكرياتها السعيدة والحزينة.. وكل تفاصيلها التي لم أعاصرها.. سردت لي حكايات من الماضي لم أسمع عنها قط من قبل، وأمنيات مستقبلية لم أكن على علم بها.. واختتمت كلامها فقالت:

- وبحبك.. وبحب إنك موجودة في كل تفصييلة من دول.

احتضنتني بقوة، ثم شغلت الأغنية الجديدة التي سمعتها مؤخراً.. مصطفى أمين، الرقصة الأخيرة:

**احضيني بقلب جامد هي ضمة الوداع، وإن**

## شافونا ألف واحد منشوفيش ولا حد فيهم واحضينجى عالمشاع..

وأخذتنا الأغنية التي ظلت تتكرر تلقائيًا لدرجة أننا اندمجنا ورقصنا عليها في مرح وضحك مخلوط بنظرات حب لم يفهمها سوانا، واعتزاز بصداقة تأتي في العمر مرة واحدة فقط، إن أتت. أنهكتنا الأحاديث والضحكات، ونمنا.. استغرقنا في النوم، استيقظت في اليوم التالي بحماس لم أجده فيها لأنها ماتت! ماتت وعليّ أن أقولها وأنطقها مرارًا وتكرارًا حتى أقنع بها وأدركها تمامًا.. ماتت سلمى.

تذكرت تلك الصرخة المستغيثة التي خرجت من حنجرتي إلى آذان الجميع، أتى أبوأي مهرولين، لم يفهما لماذا أرتمي على سلمى وأحضنها وأصرخ، جذباني داخل حضنها وأتى د.سامي الذي يسكن أمامنا ليقبس نبضها ويتأكد.. وتأكد الأمر!

كان على أمي مهمة أن تحادث مدام لبنى وتخبرها، وبين غمضة عين وجدتها أمامي.. ارتميت في حضنها وتركت حضن أمي لاهثة إليها، لم تستوعب حركاتي وصراخي وتنقلت بعينيها بين جميع الغرف حتى لمحت جسد ابنتها في غرفتي، فهرولت إليها وتركتني أسقط أرضًا من بين يديها أنظر لها بنصف عين مفتوحة، أراها تتفحص جسدها، تهزها بقوة.. أسمع صوتها يصرخ في صدى ابتعد مدهاه.. وأغمض

عيني المنهكة، فقط أسمع أصواتاً لأقدام مهرولة نحو كلينا، رأيت خيالات لسلمى تودعني.. وأستغيث بها من كل هذا.. ربما أستيقظ الآن لأجدها تتشاجر معي لكسلي، ولكنني استيقظت في المستشفى.. أتشاجر معهم جميعاً وأتهمهم بالإهمال والكسل.. لأنهم لم يجدوا سلمى... أين سلمى!؟؟

الوضع مربك وغير مفهوم، سلمى ميتة في منزلي.. أمها - عائلها الوحيد - في غيبوبة مطولة في المشفى، وصديقتها المقربة - أنا - تمكث أياماً في المستشفى أيضاً ما بين المحاليل والانهمار العصبي والمهدئات.. كيف سيتصرفان؟!

حادثت أمي مدام نهال - خالة سلمى - بعد العناء في البحث عن أحد أقارب سلمى، وبعد كثير من الصراخ.. وعندما علم الجميع بوفاة سلمى، جهزوا نعشها وكفنوها بقماش أبيض كقلبها النقي، صلّوا عليها صلاة الجنازة التي لم أحضرها! منعني عنها أبواي متحججين بإعيائي في المستشفى لأنها يعلمان جيداً ما كنت سأفعله لو حضرت موقفاً كهذا، وما تأثيره عليّ في المستقبل.. لأنني حينها ما كنت لأتذكر سوى هذا المشهد.. أصلي على صديقتي الوحيدة!! فكنت سأغمض عيني لأرى جثتها أمامي، نقف أمامها، وندعو لها بكاء حار.. لم تبرد حرارته.

بل الأسوأ، أن أمها لم تحضر كل هذا! تعافيت في اليوم الثالث

من وفاتها لأذهب إلى العزاء.. أواسي أهلها بينما أنا من أستحق هذه  
المواساة.. ولم تحضر أمها أيضًا.. أيعقل هذا؟!  
انتظرها الجميع يومين بعد الدفن ربما تفيق، ولكن الخالق رأى أن  
قلبها أضعف من مشهد كهذا.

وخلال ثلاثة أيام العزاء، رأيت كل من أعرفهم على وجه  
الأرض.. حتى سيف الذي كنت نسيت أمره رأيتَه أمامي بعد كل  
هذا الغياب والضعف الذي تملكني، وجدتني أجهش بالبكاء بمجرد  
إمساكه بيدي ليربت عليها ويواسيني.. كان أبواي يترددان عليّ بين  
الحين والآخر خوفًا من أن أسقط مرة في إغماءة مؤقتة.. أو أبدية.

تركني سيف وجاءت إليّ شلة الكلية التي لم أسمع منهم شيئًا  
تقريبًا منذ حادثة السيارة، منهارين.. يكون في صمت.. يرتنون على  
كتفي ويحتضونني كلما أدركت الواقع أكثر وتعمقت فيه، وكأن من  
مات للتو.. أمي أو أحد أفراد أسرتي.. وكانت كذلك.

مرت تلك الليلة بصعوبة.. تخللت الأيام بعض من الإغماءات  
والإعياء النفسي، تنقلت بين المستشفيات مغيبة عن الوعي.. أدرك  
كثيرًا من حقائق الحياة وأجهل أهم حقيقة لأنني لن أستطيع التعايش  
معها.. ذهبتي سلمى ولن تعد.

ظللت في المستشفى محتجزة لأسبوعين، لا أشعر بشيء.. يدسون  
بجسدي محاليل غذائية، تمنيت أن يضعوا بها أقراصًا للنسيان.. أو

للتعافي.

لم يفت سوى شهر واحد، قضيته بين مراسم الدفن والعزاء..  
والمستشفيات.. وآخر أسبوع قضيته مع ماما لبني أنتظر تعافيا..  
علها تكون خير من يشد أزرعي.. ولكن القدر كان له رأي آخر.  
يسعني القول بأنني تحسنت قليلاً عن ذاك اليوم.. حتى دخلت إلى  
غرفتي ذات يوم لأجدها غارقة في رائحة سلمى المميزة، وعلى مكثبي  
هديتها لي في عيد ميلادي التي لم أفتحها بعد، وصوت رانيا تبث  
بداخلي خيطاً جديداً من الأمل.. تبسم دامعة قائلة بحب: افتحها.

\*\*\*



**ما كنت أبحدك عنك، كنت أبحدك  
عن نفسي واخلك..**

«فالحياة قصيرة جداً، على أن نبدها في  
تضحيات غبية»

**كيرلس بهجت**



## 25 سبتمبر 2017

أخذت أنا تلك الهدية وفتحتها.. خفق قلبي بسرعة، وحتى هذه اللحظة تحديداً لم أكن أعلم سوى شىء واحد.. لن تعود الحياة كما كانت.. إن عادت.

\*\*

أجندة العام الجديد لأكتب بها ما يخطر ببالي، مفكرة صغيرة تحوي وتضم أفكارى كلها، وزجاجة عبثت برائحة صديقة لن أراها مرة أخرى، فقط سأشم رائحتها وأهرول بحثاً عنها، ولن أجدها في أي مكان.. رغم احتلال طيفها لمحيطي للأبد.

بينما رأى الجميع أن الميت هو جسد بلا روح، شخص انتهى وجوده من حياتك بشكل مفاجئ وغير متوقع، رأيته أنا.. شخصاً يحيا للأبد بداخل أحبائه، بمجرد أن يموت.

من المفترض أن تكون هي معي الآن، نفتحها وهي تنظر لي بعينين شغوفتين منتظرة لاحتضان يضم أضلاعها بداخلي، ولكن بدلاً من

ذلك كانت رانيا هنا مكانها.. تقف مبتسمة دامعة، بل منهارة تكتم بكاءها خشية أن تعديني ورغم قسوة المشهد ولكنني فعلت ما كنت سأفعله لو كانت سلمى أمامي، احتضنتها، صرخت.. وجعلتها تنفجر بالبكاء معي:

- حبيبتي أنتِ بقالك شهر في اكتباب.. شهر ونصر كمان! سلمى لو كانت موجودة مكانتش هتفرح أبداً بحالتك دي.  
قالت بشرود مثلي وأنا ألعب في يدي بتوتر.. أمسح دموعي التي تنزل فجأة:

- سلمى ماتت.. لازم تقنعي نفسك بده عشان دي الحقيقة مها كانت صعبة.. ارجعي لحياتك يا سارة.. عشان في حاجات كتير مستنياكي ترجعي.

قالت جملتها الأخيرة وهي تميل على كتفي وتأخذني في حضنها كابنتها المدللة بينما قلت أنا بصوت مبسوح:  
- هو أنا مينفعش أروحلها؟

- مش معنى إننا مش هينفع نعيش من غير سلمى، إننا نموت يا سارة.. لازم تاخدي وقتك وتفوقي، وأنا عندي يا ستي اللي يفوقك ويشغل وقتك.

نظرت لها باستجداء منتظرة منها أي حل لما نزل بي.. نظرت لي بعينين مولعتين بحماس راكد وقالت:

- بس تسمعي كلامي؟

\*\*

نحن - كبشر - نميل أكثر لدائرة الحزن ودور الضحية المغلوبة على أمرها سواء أكان يليق بنا أم لا، ولكننا في كل الأحوال نحبه.. بل ندمنه، ندمن أن يكون هناك سبب عظيم لفشلنا واكتئابنا لكي لا نشعر يوماً بأننا سبب ولو بسيطاً فيما نحن فيه، ندمن أن يتعاطف الآخرون معنا ويظهروا الشفقة في العلن وكأننا نستمد طاقاتنا من هذه الشفقة، وبمعنى أوضح..

نميل لأن نترجم هذا التعاطف إلى تصفيق حار، نسمع كلماتهم لننتشي بها وكأننا فعلنا للتو شيئاً عظيماً.. نحن.. بشر.. طبيعتنا هي الخطأ، الذنب، الأنانية.. ولكن القدير كانت له حكمة عندما جعل الخطأ من أقدارنا، والتماذي فيه بكامل اختيارنا.

\*\*

كانت رانيا نوعاً ما منظمة، بمجرد أن أعطيتها الموافقة وقبلت بمساعدتها لي، وجدتها تركز كل ما افترشناه من هدايا وتأخذ بعض الورق والأقلام وتخطط لي حياتي من جديد عسى أن تجد فيها شيئاً يستحق المعافرة، انفقنا أن أول خطوة لمواصلة حياتي بشكل طبيعي، هي العودة مرة أخرى لتلك الحياة التي أحببتها وفقدتها بمجرد أن

فقدت سلمى، الأفلام والمسلسلات التي دائماً ما أحللها وتوثر فيّ بشكل كبير، وكتاباتي التي توقفت عنها لمدة شهرين تقريباً، وروتيني اليومي الذي كنت أفتقده بشكل مرعب، أنهت رانيا كلامها وتركت القلم فوق الورق وقالت بحسم:

- كده مش ناقص غير حاجة واحدة..

قالت بحذر من لا تريد نطقها:

- سيف..

ارتعد قلبي وخفق فجأة، وكأنني نسيت بالفعل من يكون، وما دوره في حياتي، كل ما فعله عقلي حينها أنه أتى بكل التفاصيل التي ربطتنا سوياً، تنهدت باشتياق وقلت لرانيا بتعب شديد:

- هو عامل إيه؟

قالت رانيا بحب:

- كويس.. هو بس قلقان عليكِ ومش عارف يوصلك.. سارة

هو أنتِ بتحبيه؟

\*\*\*

هناك نوعان من الأسئلة المباشرة، ذات النوع الذي تكون إجابته جاهزة بعقلنا منذ اللحظة الأولى فإما أن نجيب بها أو أن نخفيها ونقول «لا».

أما النوع الثاني فإجابته لا تعرف محلاً من الإعراب، إجابة عائمة لا

تعرف ماهيتها ولكنها تعد صادقة تمامًا وتعبر عما نعنيه، لذلك عندما سألتني رانيا هذا السؤال صمّتُ لدقائق واسترجعت كل الذكريات الفائتة، لأرد عليها بهذه الإجابة.. من النوع الثاني «معرفش».

\*\*

## 29 سبتمبر 2017

فتحت صفحتي على الفيس بوك لأندمج بعالمي مرة أخرى لأفاجأ أن الرسائل تعدت المائة واحدة على صفحتي الشخصية، وأضعافها موجودة على صفحة الموقف، إعجابات الصفحة تعدت الـ 20 ألف متابع!

خطفت نظرات على التعليقات والرسائل المهولة، بحثت عن المنشور الأكثر مشاهدة وجدته الأخير، الذي كتبته ليلة وفاة سلمى عندما كانت نائمة هنا بجاني:

- إزاي أقدر أنساها بالسهولة دي، وأضمن منين إن اللي بعدها مش هتبقى زيها!  
- فقدت الثقة في كل الناس.. مش عايزة حد أحسن أنا عايزاه هو..!

- نسيتها بس مش هقدر أجيب حد مكانها.. مش هقدر..  
- مش هعرف أدوس على زرار وأنساه.. لأني مدوستش على زرار وحببته!!

- أنا إيه اللي خلاني أعرفها وأحبها، مش لو كنت عدت من جنبها  
ومسألتهاش عالشارع مكنتش عرفتها!  
- مش كان أحسن لو كان خبط في حد غيري وحب حد تاني وكان  
زمانى لسة سنجل!  
- مستحيل أكون حبيتها بجد.. لأنه لو بجد كان هيكمل!  
- دايماً بنقابل الشخص المناسب لينا بالضبط بس..  
- في الوقت غير المناسب على الإطلاق!  
- معرفش الإحساس ده اسمه إيه بس مجازاً.. حب؟  
- اشتياق؟  
- وجع..  
- روح؟  
- حلم جميل..  
- خلص بس مفوقناش منه..  
- وقلب بكابوس..  
- أنا منسيتهاش ولسه..  
- بحبه... أنا تعبانة ونفسي..  
- أنساها بقى.. مبقتش مستحمل عدم وجودها..  
- ولا حتى مستحيلة وجوده.. ياريت لو نقدر ندوس على زرار  
ونسى.. أنا لسه...

..- بحبها.. والله...

..- لسه بحبه!

\*\*

قضيت وقتاً طويلاً في البحث ومحاولة معرفة كيف حدث كل هذا، وبعد بحث وجدت السبب، فهناك من نشره على جروب به عدد كبير من البشر، والآخر نشره على صفحته التي تحوي عددًا هائلاً من المتابعين، فهناك ثلاثة ممن قاموا بمشاركته مشهورين إلى حد كبير، وهناك أكثر من صفحة مماثلة نشرته مع الكثير من كلمات التشجيع، وهكذا أخذ الـ post طريقه في الانتشار حتى يومنا هذا! ودون أدنى كذب، لقد كنت في حالة أخرى، كنت مغمورة بالفرحة الغربية التي لا تتناسب مع حياتي الحالية.. كنت أضحك، أدمع من فرط الفرحة والصدمة، ورغم ذلك كنت في قمة التوازن النفسي.

بحثت عن أي شخص أقص عليه هذه الفرحة وهذه الحالة، لم أرد لهذا الضوء القليل أن ينطفئ، وفي الحال حادثت سيف على الهاتف، الذي بدا فرحاً لصوتي هذا، غير فرحته بالخبر ذاته، تحدثنا كثيراً، بداية من اشتياقه لي ولصوتي.. وآخر أنه يريد رؤيتي اليوم، وبالفعل جهزت وذهبت لمقابلته في الحال، وعندما رأني أمني بتلك الابتسامة لم تهتم أين سأذهب مادمت سأخذ هذه الابتسامة معي وسأعود بها.. وغير ذلك لا يهم.



نظر للهاتف نظرة من مستعد لأن يقول لابنه أن ما رسمه للتورائع رغم بشاعته، كنت أعرف أنه يشفق على حالي مثل البقية، ولكن بدت عليه صدمة الإعجاب وهو يقرأ، صدمة أحب أن أراها في عين من يقرأ لي، وأحببت رؤيتها فيه..

- حلوة؟

- أوي يخرب عقلك..

صمت لدقيقة تقريباً والابتسامة لم تفارق وجهي، ابتسامة باهتة إلى حد ما، حتى قال سيف:

- مالك؟!؟

نظرت للأرض وقلت في يأس اعتدته هذه الفترة:

- البوست ده كتبته يوم ما سلمى ماتت.. الفكرة إني مبسوطه أوي، ومستكتره على نفسي الانبساط من غيرها..

توقفت عن السير في الشارع الهادئ الذي كنا نسير فيه ونظرت له ليتوقف هو الآخر وأقول:

- أنا كنت نسيت يعني إيه انبساط.. ودلوقتي افتكرت إحساس الفرحة بيبقى إزاي.. بس المرة دي الفرحة ناقصة.. وهتفضل ناقصة.. كان سيف ينظر لي وأنا أتحدث كمن يشاهد عرضاً في السيرك، مهتماً، مشفقاً، مصدوماً، لم يكن ليتوقع أن تخرج تلك الكلمات الدفينة

فجأة، والأهم أن تخرج له هو.. رأيت في عينيه حيرة من وقع عليه الرد في مسابقة من سيربح المليون ولا يوجد أي وسيلة مساعدة فقط اختيارات عدة.. واختار هو الأبعد عن التوقع.. لينجح تمامًا:

- إيه ده؟؟

قالها وهو ينظر ليدي اليمنى التي كانت تتحرك في لغة جسد اعتدت عليها، قلت بعدم فهم:

- دي إيدي!

نظر لي باشمزاز من فرحتي وأمسك بيدي وهو يضعها نصب عيني حتى أرى خاتمه الذي أعطاه لي منذ شهرين ومازلت أرتديه إلى الآن.. ابتسمت وقلت:

- آه ده بقى جزء من إيدي خلاص.

ابتسم هو بينما كانت يدي ترتعش، خاصة أنه لم يتركها لحظة واحدة، وكذلك كان قلبي، نظر في عيني مباشرة وقال:

- متخافيش...

لم تترك عيناى فرصة كهذه إلا وانتهزتها.. ظلت يدي ترتعش حتى لاحظ هو ارتباكى، فشد عليها أكثر دون أن يرحمها.. وقال:

- طول ما أنا جنبك متخافيش.

ورغم استهلاك الجملة في كل العلاقات الرومانسية، ولكنى قبلتها ورضيت بها.. واكتفيت بيدي التي تلامس يده.. واطمأنت.



تنهدت فقلت:

- آه.. بس أنا عايزة أحكيك حاجة، وهتاخذ وقت.. أنت فاضي؟  
- أفضالك.. البسي يلا وأنا هكلمك كمان نصاية.. نتقابل في  
الدقي زي كل مرة..

\*\*

«زي كل مرة» أصبح طقسنا اليومي هو التمشية في شوارع الدقي  
ووسط البلد والتحدث عن أي شيء...  
استنتاجات الواقع.. ما هي إلا انعكاسات لتجربتنا الخاصة،  
نستنتج من الألم دوائه، ومن الضحك فناءه، نستنج من الأمان الحب..  
ولا نستنتج من الحب شيئاً، فقط نذهب حيث يأخذنا، إلى حيث مقدر  
لنا أن نكون.

من فرط لقاءتنا نسيت نفسي، هذا الضوء الذي يأخذك بريقه حتى  
تتسنى لعينيك التركيز فيه ولا تلتفت عنه أبداً، فإذا تلفتت وجدت ما  
حولك مشوشاً ببريق الضوء الذي كنت تهرب إليه منذ قليل، فترى  
العالم جميعه ما هو إلا تشويش يغطيه الحب وما آلت إليه الأمور من ألم  
وفرحة، واستنتاجات غبية.

\*\*

صمتُ لدقائق أحدث فيها مع نفسي سرّاً وأخبرها ألا تبكي الآن،  
تماسكت وقلت:

- مش عارفة يا سيف، أنا متلخبطة ومتغيرة حتى مش عايزة  
أجيب النتيجة بتاعتي عشان متعودة أجيبها مع سلمى..  
همَّ بمقاطعتي ولكني سبقته:

- سييني بس اتكلم، أنا عارفة اللي هتقوله..

أخبرته بارتباك عن تلك الخواطر التي تدور ببالي منذ أن ماتت  
سلمى، وأهمها هو ذلك السؤال «لماذا؟» لماذا هي بالأخص؟ ولماذا  
أنا؟ سردت عليه تفاصيلي أنا وسلمى وكم أفتقد مبيتي عندها في  
منزلها وتلك السهرات التي أفتقدها.. حقًا أفتقدها!

لم ترحميني بغيابها، وإن رحميني الزمن لحظات وأكرمني بنسيانها،  
أحاطتني رائحتها بتلك الزجاجة التي تركتها لي ولم أستطع الاستغناء  
عنها أبدًا.. لماذا؟! لماذا تعذبيني يا سلمى!!

صمتُ لأذن لسيف بالرد الذي قاله فور صمتي:

- هي ريححتها حلوة بصراحة.

ضحكت من بين دموعي ليقول بجدية:

- متزعليش نفسك.. أنا جنبك وعمري ما هسيبك.

- سيف أنت بتعمل معايا كل ده ليه؟!

قال بفخر أقرب للتكبر:

- بعمل إيه؟ عشان يعني بقابلك وبضححك وبرجعك مبسوفة

وبجيبلك حاجات حلوة كل يوم وبفرحك؟ لا لا never mind.

وكرزته في كتفه بغيظ فضحك ضحكة لامعة، لأول مرة أتأمل ملامحه بتلك الدقة، ملامحه الهادئة وبشرته القمحية التي تميزت بتلك الغمازة التي تظهر عند اتساع ضحكته كما يتسع عالمي بها، وشعره الحشن الذي لم يميزه شيء، وعيناه الواسعتان بما فيه الكفاية لتسعاني بداخلهما وتحوياني.. كانت ملامحه عادية لدرجة مميزة، لدرجة تجعلك تجد فيها كل مرة شيئاً جديداً، ظللت أنظر له طويلاً حتى لاحظ وقال في مزاح معتاد:

- بتشبهني عليّ ولا إيه؟!!

نظرت للأرض في خجل وأنا أضحك وقلت:

- أبداً.. مستنيك تجاوب علي سؤالي.

قاطعته قبل أن يتحدث لأكمل:

- ومتقولش عشان ملكش غيري، عشان أنت ليك غيري كثير..  
قال بجدية هذه المرة:

- بلاش.. ينفع مليش زيك؟ أو عشان ملكيش زيّ!

يشهد الله أن هذه أول مرة يدق قلبي بهذه السرعة منذ وفاة سلمى..

ولكنني صممت على الجدال:

- أنا عايزة أفهم أنا بالنسبالك إيه؟!!

قال بعفوية شديدة:

- صاحبتني وأقرب حد ليا.

ربما تكون قصة سيف هذه هي القصة الأولى التي تسلك مسار الجدية ولا تكتفي بالحب من طرف واحد، الطرف الذي دائماً ما يكون من نصيبي، وبعد ثوانٍ من التفكير، قررت أن أصمت.. ربما إذا تسرعت أفسدت كل شيء.. التروي.. دائماً ما كانت سلمى تخبرني بهذا.. صمتُ وقطع فترة الصمت، صوت سيف يغني.. على بالي - آدم.

\*\*

## 19 أكتوبر 2017

«وماذا بعد؟» سؤال دائماً ما كنت أسأله لسلمى كلما ترددت وتوقفت عن السير في طريقي، ولكن أين هي من كل هذا؟ أين هي الآن؟؟

وللمرة الأولى منذ شهور أفعل هذا ولكني بالفعل انتظرت قدوم أبي من العمل، وأخبرت أمي أيضاً أنني أريد التحدث معها بشأنٍ.. انتابهما الفضول والقلق لأنني لا أفعل هذا عادة - على الأقل في الوقت الحالي -.. ولكنهما نوعاً ما فرحا بذلك واعتبراه علامة خروجي للنور مرة أخرى بعد انطفائي..

- خير يا حبيبي في حاجة؟!!!

قالها أبي حينما جلس على كرسي الصالون يرتشف الشاي، وأمي تأتي من المطبخ بطبق حلويات لي.. وأنا ابتسامتي متسعة لكل هذا،

مصحوبة بقطرات دافئة تسكن عيني وتأبي الحركة، قلت بابتسامة راضية:

- مفيش وحشتوني وعاززة أتكلم معاكو شوية..  
نظرت لي أُمي بحب وجلست بجانبني لتحضنني وقال أبي بصوت حنون:

- قبل بس ما تتكلمي، مبروك أنتِ جبتي جيد مرتفع أنا جبتهك النتيجة النهاردة.

لمعت عيناوي في فرحة في غير محلها وقلت بصوت مبسوح:  
- بجد؟

شردت لثوانٍ في أمر قرأه أبي في عيني:  
- وسلمى جابت جيد جداً.. الله يرحمها..

احتضنتني أُمي بقوة وهي تهنتني على النجاح بينما طلب مني أبي التحدث بأريحية لأزيح عن نفسي تلك الغمة، أخبرتها عن تلك الهدية التي كنت أحبها ما دامت سلمى معي، ولكنها الآن تعذبني، فلم أستطع كتابة حرف في تلك الأجندة دون أن أجهش بالبكاء، ولا أستطيع أن أضع تلك الرائحة حتى أشرد في ملكوت آخر غير عالنا هذا، أشرد في هذا الفيلم أو تلك الرواية التي أعيشها ولا تمت لي بصلة، فمن المفترض أن أكون ذلك البطل، أو عالاًقل أحاول.. وإن باءت محاولاتي بالفشل، ولكنني لا أستطيع حتى المحاولة مرة أخرى،

لم أتمكن من تخيل عالم مليء بالقاذورات، مظلم، محاط بحيوانات ضالة أسمع أصواتها المرعبة في صدى صوت أكثر إرغاباً، أمشي الطريق في خوف، أخشى التعثر في هذا أو تلك، لا أستطيع حتى تخيل فكرة أن

عليّ عبور هذا الطريق وحدي، فقط لمجرد فكرة أن أرى نهايته!!

هل يعقل أن نعبر طريقاً موحشاً كثيباً لم يكتب لنا ولم نختره فقط لنرى ما وراءه؟ وماذا إن كان ما وراءه طريق أكثر وحشة وغربة؟ ماذا لو كانت تلك النهايات المؤلمة لن تمر؟ ماذا لو كانت أبدية؟ هل رغم كل تلك المخاوف سنعبه؟ مصممين على الوصول لتلك النهاية التي لا نراها على مرمى بصرنا؟

صمتُ في شرود بينما أبي وأمي يلقنانني نصائح اعتدت عليها لدرجة جعلتها غير مجدية النفع، وتبعت صمتي بدمعتين خامدتين احتوتهما أُمِّي في حضنها، واحتواها أبي بجملته الأخيرة:  
«اكتبي»

\*\*\*

## 22 أكتوبر 2017

- أنتِ عارفة إيه أحلى حاجة في كل العك اللي حكتهولك ده؟  
قالها وهو ينظر في عيني مباشرة بينما يطعمني من طبق الباستا الذي استقر أمامي، أخذت منه الشوكة في حرج وأطعمتها لنفسِي، منتظرة إجابة سؤاله الذي طرحه للتو:

- أنت .

ابتسمت في صمت وتوتر قبل أن يقول:

- طب أنا حكتلك أهو أهم حاجة في حياتي احكي لي أنتِ كمان  
حاجة مهمة .

حركت عيني في حيرة وتوتر، وقلت محاولة تغيير دفة الحديث:

- أنت عارف؟ أنا عمر ما حد قعد معايا وسمعتني كده وقالي  
احكي واتكلمي، دايمًا عندي إحساس إن اللي قدامي مش مستعد  
يسمع كل الهري اللي حصل في حياتي  
قال وهو يضع يده فوق يدي:

- طب جربي .

سحبت يدي منه في ذوق وبدأت السرد، وبدأت عينايا تتحركان  
في الأمر، تلك الفلسفة المسماة بالماضي.. لم يكن لدي منه سوى القليل،  
لم أحصل على تجارب سيئة كافية لتجعله ماضيًا يستحق الحديث عنه  
أو عالأقل التعلم منه، كان الماضي دائمًا بالنسبة لي هو أي شيء بلا  
معنى، ولكن بعد أن ماتت سلمى تبدل الأمر، فأصبحت أعيش في  
ذلك الماضي، أغرق في تفاصيله وأغترف منها غذائي وتنفسي ويومي  
بأكمله، للحظة شعرت وكأن العالم والناس أجمعين يتحركون بسرعة  
لم أرها من قبل، سرعة لا تتناسب مع توقف تلك اللحظة هنا.. لحظة  
موت سلمى .

مد يده بمنديل لأمسح ما سقط من عينيّ للتو وقال بتر كيز:  
- يا بختك يا سلمى، خدتي كل الحب وأنا مفضلش غير مناديل  
ضحكت بصوت عالٍ من كلمته هذه وأنا أمسح وجهي، وقلبي  
يدق في خوف ووجع.. وعقلي يفكر في اليوم بأكمله.. بكل تفاصيله..

\*\*

## 5 نوفمبر 2017

هل للماضي دور في تشكيل حياة الإنسان؟ وإن كان له بالفعل  
أكثر من دور في تشكيل حاضرنا؟ فكيف لنا بتخطيه على أيّ حال؟  
كيف لنا بتجاوزه بكل سهولة دون أن تتكون لدينا عقد نفسية لا نهاية  
لها؟ كيف ننسى الماضي ونواصل حاضرنا دون أن يتداخل الاثنان  
ويشكلان رابطة قوية ضدنا؟ عنوانها الخوف ومحتواها الاكتئاب؟  
ودون أي فلسفة... كيف لا نفلسف مثل هذا التفكير؟

بعد أن سرد لي سيف حكايات عن ماضيه، لم أستطع إنكار خوفي  
ليلتها، وهو ما جعلني شاردة معظم الوقت أحاول بفشل أن أغير  
مجرى الحديث، بينما هو لاحظ سبب خوفي وتغاضى عنه.

\*\*

- ده إحنا متخاصمين بقى !!

بعث لي تلك الرسالة على الفيس بوك بعد أن تجاهلت عدة مكالمات  
له، فكرت قليلاً قبل أن أرد ولكني لم أستطع الصبر أكثر من ذلك.

نعم سأصمم على موقفي، وعندما يلاحظ هو ذلك سأحدثه بما  
أغضبني منه، لحظة؟! ما الذي يغضبني منه تحديداً؟!!!  
نعم، منذ أسبوعين.. عندما كنا في المطعم نأكل ونضحك، وقررت  
فجأة بغبائي أن أسأله سؤالاً خارج مسار حديثنا:  
- سيف احكي لي حاجة  
- حدوتة يعني؟

- ههههه مش بهزر، احكي لي أي حاجة أنا مش عارفها عنك  
وبدأ هو بكل أريحية يتحدث عن صديقتة وحب حياته من  
الجامعة، التي ارتبط بها لمدة تقرب من السنة ولأسباب لم يذكر منها  
سوى تعجرفها وأنانيتها انفصلا، تملكه الاكتئاب وتمكن منها الانهيار  
العصبي يومياً، ولكن نوعاً ما اعتاد على شيء جعله يتعافى من حبها  
وألّم قلبه، وعندما سألته عن ماهية هذا الشيء قال بتردد:  
- أنام.

- ههههههههههه لا والله جديدة دي.

- أنا لسه مكملتش!

- كمل آسفين يا سيدي.

- أنام مع واحدة أحلى منها، كنت كل ما ألاقى بنت أحلى من علا  
كنت بوقعها لحد ما أنام معاها وأحس إني شبعان وإني مش محتاج علا  
في حاجة، بس بطلت خلاص بعد ما كنت عملت شوية تموين زي

الفل ههههههههه

أتعلم ذلك الإحساس بالرجفة والصدمة مصحوبين بالبرد في ذات الوقت؟ ذلك كان إحساسي ليلة بأكملها.. وتبعته بحدِيثِي عن الماضي وعن سلمى، لم أنطق بكلمة، فقط اكتفيت بخوفي عائناً لي لأرفض مثل هذا الحديث، أو عالأقل هذه العلاقة.. لذلك لا.. لن أرد عليه...  
- طب سارة لو مخلصاني خليني أشوفك مرة أخيرة عالأقل!

واكتفيت بكلمة واحدة للرد:

- بكرة!

\*\*

## 6 نوفمبر 2017

- غمضي عينك.

قالها بعدما جلسنا في أحد الكافيهات، بينما وجهي كان جامداً لا تتحرك فيه خلية واحدة، وبعد توصل منه أغمضت عيني في ابتسامة لم أستطع منعها حتى سمعت صوتاً رفيعاً أشبه بصوت أراجوز السيرك.  
- «سيف مكانش يقصد يضايقك هو بس بيرتاح معاكي فيحكيلك»

فتحت عيني لأجد يده مرتدية دمية من القماش، يحركها لتتحدث بينما يغير هو نبرة صوته، صدرت مني ضحكة رقيقة لا أعلم أنني أحملها، ليكمل هو بنفس النبرة الطفولية:

- «متزعليش بقى»

حاولت منع ابتسامتي ولكني فشلت، فأنزلت يده التي ارتفعت بتلك الدمية لأضعها على المنضدة لأجده يمسك بيدي بقوة، لا يفرق بيننا سوى قماش ناعم من الفرو الأحمر، ووضع يده الأخرى فوقهما وهو يقول بصوته العادي هذه المرة:

- والله آسف، أنا كنت بفضفض معاكي أنا آسف مكنش قصدي  
أزعلك

قلت ببؤس:

- أنا مزعلتش، أنا خفت!

لينظر لي بصدمة من لا يتوقع الكلمة:

- خفتِ مني؟!؟

- أمال يعني مني؟ آه خفت منك، ولو أنت فاكر إني زي اللي أنت

قابلتهم دول تبقى غلطان، عشان أنا مش سكتك خالص!

قال بصدمة:

- سارة أنتِ بجد خايفة مني!! أنا كنت بحكيك حاجة حصلت

وفات عليها أكثر من ستين، لكن أنا بطلت أعمل كده، وأكيد مش

هعمل كده معاكي في إيه يعني هو أنا بلطجي؟!؟

نظرت له نظرة ثابتة وقلت بهجوم:

- سيف هو إحنا إيه؟!؟

- إحننا أصحاب!

- وحياة أمك؟

ضحك واختلطت ضحكته بملامح الحرج والتوتر، حاول إخفاء  
توتره فقال بتوسل:

- يجرب بيت اللي يزعلك يا شيخة! والله العظيم أنا اتغيرت يا  
سارة من ساعة ما عرفتك وفعلاً مش هعمل اللي عملته ده تاني  
أوعدك، وادي إيدك أبوسها.

اشمأززت رغم ضحكتي التي علت في أرجاء المكان، وتركته  
يقبل يدي في حب، ناسية سؤالي.. متجاهلة إجابته، فقط اكتفيت  
بشفتيه تلمسان يدي في حنان يربك قلبي، ويممّله ما لا طاقة له به.

\*\*\*

## 17 نوفمبر 2017

من ضمن الطقوس اليومية أيضاً أن أستيقظ لأجد رسالة صوتية  
منه بإحدى الأغاني، كما الحال مع الرسالة المسائية.. حتى أصبح من  
المستحيل أن أنام أو أن أستيقظ دون أن أسمع صوته، أبدأ وأنهي  
به يومي، في ذلك اليوم استيقظت لأجد أغنية «كل ده كان ليه» على  
الواتساب بصوته، عشقي المفضل من الأغاني، اندمجت فيها حتى  
سألت نفسي سؤالاً تصفني به الأغنية في وجهي: «كل ده كان ليه؟»  
ادخرت التفكير فيه لوقت آخر، وارتديت أفضل ما عندي لأقابل

سيف ونترك تلك الـ«ليه» لوقت آخر..

\*\*\*

- نلعب صراحة ولا بتتقمصي؟

قالها وهو يمسك بخدي في غيظ بينما أفلته منه وقلت بابتسامة كاذبة:

- لا مش هزعل يلا.

- طيب أسأل أنا.. لما بتسمعي اسمي أو بتفتكريني بتفتكري إيه؟ أخبره بأيهم أولاً؟ بأني أتذكر تلك الشهور العدة التي هانت بوجوده؟ أم عن عدد المرات التي اتسعت فيها ضحكتي مشرقة عندما يستهزئ بشيء قلته؟ أم عن تلك التفاصيل الصغيرة جداً التي تبني بيننا شيئاً أشد عمقاً وتوثيقاً؟ والابتسامة التي ترسم على وجهي عندما أتذكر شيئاً يخصه؟ أم أخبره عن ذلك الخوف الذي يعتريني بعد تلك الابتسامة؟ خوف من أن يتركني كما تركني كل شيء أحببته بعمق، خوف ليذهب راحلاً بلا عودة، خوف من اقتراب ذلك الميعاد أو حتى ابتعاده، فإن كان ذلك قريباً جداً فمن حق الخوف أن يتملك كل خلية بجسدي ويجعلها ترتعش في كل ثانية يقرب فيها هذا الميعاد، وإن كان ميعاد الفراق بعيداً، فكم سأستغرق لنسيان علاقة توطدت واستقرت داخلي لشهور وسنوات؟ وكم سأستغرق لأعود كما كنت مرة أخرى؟

اكتفيت بتلك الجملة كاشفة عن كل ما فكرت به:

- بيتسم، وقلبي بيدق.. وبخاف.

توقفت عن الحديث لأن دموعي قد انزلت من تلقاء نفسها، فإذا أخذت عيني الإذن بالبكاء تلجم لساني فلم أستطع فعل الاثنين معاً، نعم.. هذا نظام.

توقف سيف عن السير وتوقفت أنا الأخرى لأجده ينظر لي تأهياً يبحث عن طريق يدخل من خلاله إلى قلبي ليطمئنه، ووجد طريقه في احتضاني بقوة، وقال كلمات لم أسمع منها سوى:

- أنا جنبك، ومش هستأذنك في الحضن ده لأن أنت محتاجه أكثر مني.

استكنت بداخله بينما عقلي يحاول التيقظ ومنع هذا من الحدوث ولكني لم أمنعه، تركته يطمئن قلبي المرتجف خوفاً من ماضٍ خلق ليعذبنا، ويطمئن رأسي فيقبلها في حنان كابنته الصغيرة، ويمسح دموعي الساخنة بيده الدافئة ويقبل عيني المغمضة المرتجفة، ويقبلني في وجتي كطفلة صغيرة أدت الواجب بأكمله، ويقبلني في فمي بدفء حتى يتسنى لي الاطمئنان... ماذا تفعلين أيتها الغبية!!!!

- سيف لا يا سيف لا..

تراجع خطوات بعدما تلامست شففتانا وقال:

- أنا آسف..

قلت بتوتر:

- لا مينفعش لآ.. سيف أنت بتخوفني أنا بقولك طمني.. أنت

بتخوفني ابعده عني.

قال بتوتر أشد مني:

- أنا آسف والله آسف.. مش قصدي أنا آسف.

أكملت السير وتبعني هو، ولحق بنا الصمت، يسير معنا لآخر

الطريق.

\*\*\*

ما الذي يمنعنا من الحب إن كان الحبيب موجوداً ويجبنا؟! ما الذي يجعل الإنسان إنساناً إن لم يحب بكل ذرة فيه شخصاً يبادلُه نفس الحب؟!!

«أنا آسف والله مكانش قصدي أضايك، أنا بس فكرت إن علاقتنا بتطور يوم، صدقيني ده مالوش علاقة باللي حكتهولك عني قبل كده، وهتصدقيني لما أثبت ده فعلاً قريب بس لما أتأكد إنني قد المسئولية دي».

حيرة بعد أخرى، ولم أعد أفهم من هي أنا، وكيف تبدو في ظل انهيارها يومياً.. متماسكة!

ماذا تفعلين يا سارة؟ أهذا هو الحب الذي تمناه قلبك وعقلك؟ أم أنك تهرولين في طريق سريع ممثلة الخفة والرشاقة بينما الحياة تضيق

عليك يومياً يا صغيرة؟  
رفضت احتمالاً لعلاقة قد تنجح مع (تركي) لأنه تعدى حدوده  
واحتضني بقوة، خطفني تحت الأضواء وأثنى على شكلي وجمالي..  
والآن أنتِ بالفعل في علاقة تتبادلين فيها القبل مع شخص لا يعترف  
بالعلاقة من الأساس!  
ما الذي تفعلينه تحديداً الآن؟

\*\*\*

لم أرد على سيف ليلتها، قضيت تلك الليلة الباردة أغسل شفتيَّ  
وأمسحها من أثر نصف القبلة.. وكأن لو أبي دخل عليّ الآن سيرى  
شفتيَّ كتب فوقها «قبلت شاباً تحبه ولا يحبها».. أو كأني أخاف من  
أن تنتقل نجاسته إليّ فأصبح مثله، تائهة.. لا أعلم من أين جئت ولا  
أعلم ماذا أريد!

اجتاحني شعور غريب بالاشتياق، ليس بمثل إحساسي تجاه سلمى  
الآن مثلاً، ولا بمثل أي فراق اعتاد عليه قلبي، شعور بالوخز يطعن  
في قلبي متزامناً مع دقاته، وشفتي ترعشان في انتظار قبلة أخرى من  
حب يائس، ويدي تحتضن كوب من الشوكولاته الساخنة ولا تتركه  
حتى لا أكتشف أنني في حاجة لاحتضان دافئ لا يربك أوصالي، ولا  
يرجف قلبي، ولا يحرك براكين عيني الخاملة منذ ساعات..  
ولأن الحياة لا تكتمل بدون الحب، ولأنني وقعت في حب لا مفر

منه بأي حال من الأحوال، سألت نفسي بعض الأسئلة أهمها، ماذا لو كان سيف هو مستقبلي وحياتي ومن سأكمل معه ما تبقى من عمري؟  
علامَ الحزن الآن؟ إن كان الحب هذه المرة من طرفين؟!  
نعم، سأتصالح مع ما حدث لأرى ما سيحدث، سيف يجنني ويريدني معه لبقية حياته، نعم...  
ولا توجد طريقة لاكتشاف هذا غير الحقيقة، سأخبره بكامل مشاعري، لنقطع الشك باليقين.

\*\*

## 2 ديسمبر 2017

- ساكنة ليه؟! -

سؤال مهم للغاية، أعاني هذه الأيام من الإجابة عليه، والأهم كان سؤاله التالي:

- أنت لسة زعلانة؟! -

- مش زعلانة.. أنا متلخبطة.

نظري بتردد وحزن، يواسيني بعينه ويعتذر بطريقته:

- طب أنا آسف.. قوليلي أعوضك إزاي وأنا أعملك الي أنت

عايزاه

قولي له ما تريدن حقاً، أجبريه أن يعترف بمشاعره فلا وقت آخر لديك بالتفكير، أسأليه عن تحديد معنى علاقتكما الآن.. نعم أخبريه

أنه إذا كان يريدك في حياته فعليه أن يرتبط بك.. نعم..  
- سيف أنا بحبك!

ما الذي فعلته يا منعدمة العقل؟! كيف سأصلح هذا الآن!؟؟  
قولي له إنه مثل أخوكي أو صديقك، نعم قولي له ذلك..  
- وعمرى ما بطلت أحبك من يوم ما شفتك..  
غبية!

لا لست بغبية إنه يحبني، انظري إلى وجهه المنشرح من فرط  
السعادة، هل تظنينا سنندم على هذا؟!  
لا أظن.. بل متأكدة...

ظهرت على سيف علامات الصدمة والسعادة معاً، ابتسم وقال  
بتردد مخيف:

- أنا بس عندي مشكلة واحدة.  
مشكلة؟ هاهي بدأت المشاكل.. لم يؤيدك حتى ويخبرك أنه يحبك  
بالمثل، استقبلي المشاكل يا ست هانم.  
- مشكلة!؟!! أنا بقولك أنا بحبك!!!  
- أنا مش هينفع ارتبط بيكي.  
ازدادت سرعة نبضات قلبي في خوف، فقلت في توتر:  
- هو أنا وحشة للدرجة دي؟  
ربت على كتفي وهو يقول:

- لا لا يا حبيبتي خالص، أنت زي الفل، المشكلة فيّ أنا.  
أكمل بشرود:

- أنا كمان بحبك والله بحبك.. بس أنا مش هعرف أساعدك في  
اللى أنت فيه للآخر لازم هيجي يوم وهزهق يا سارة، وأنا مش عايز  
أزهق من حاجة حلوة أوي حبيبتي في حياتي زيك.. خلينا نقف لحد  
هنا.. ونفضل فاكرين اللى بيننا بكل خير.

أشرت له بيدي ليتوقف عن الكلام وأتحدث أنا بجديّة:  
- أنت عيبط؟

ضحك اعتقاداً منه أنني أمزح ولكنه توقف عندما رأي وجهي  
الغاضب:

- لا بجدا أنت عيبط ولا شكلك كده؟!!!! أنت مش بتتنيل بتقول  
إنك بتحبني؟ وأنا اتنيلت قولت إني بحبك؟ لازمته إيه الكلام ده..  
تبعدا!!؟

- سارة بس ممكن تهدي وأنا هفهمك؟

نزعت يده التي حاولت لمس ذراعي في عنف وأنا أصرخ:

- أنا هادية بس مش فاهمة حاجة!!!! يعني إيه عشان مترهقش؟!!!!

يعني إيه فهمني

قال بتوتر طفل كسر كوباً ثميناً من النيش:

- اهدي حقك علي.. أنا مزهقتش منك أنا بس قصدي إننا.. مش

هينفع نكمل ..

لأثور أنا أكثر في نبرة صوت عالية لم أكثرث بها وأنا أوكزه في كتفه:  
- نكمل!؟ نكمل إيه يا بابا أنت عبيط! نكمل إيه هو إحنا بدأنا

حاجة عشان نكملها!؟

ليسيطر هو الوضع بصوته العالي ونبرته الغاضبة:

- بصي لنفسك بتتكلمي إزاي وعايزاني أفهمك!!!

حاول استجماع أنفاسه ليهدأ مرة أخرى ويقول:

- يا سارة أنا بحبك بس بطريقة ما في حاجة غلط، أنت متعرفنيش

لسة أنا وسخ وهظلمك معايا.

أكمل بصوت مبحوح خفيض بالكاد سمعته:

- بس أنا بحبك.

ظللت أهز رأسي في نفي وعدم تصديق وبدأت حربي الداخلية

التي أطلقت جميع أسلحتها عليه:

- أنت بقى عايزني أقتنع بالهبل اللي أنت قولته ده على أساس إني

أول مرة أعرفه؟ عرفنا إنك وسخ خلاص، وعرفنا إنك نمت مع

بنات بعدد شعر راسك وهتظلم أي واحدة ترتبط بيها

نظرت له والغضب يحرق وجهي، وقلت بعد تنهيدة لم تهدئ شيئاً

مني:

- سيف هات من الآخر.. أنت بتحبني وقابل تبقى معايا ولا لأ؟!!

- أيوه يا حبيتي طبعاً بس أنا قصدي..

- بلا قصدي بلا قصدك..

انهدرت دموعي في غير وقتها ومحلها، لم أستطع إكمال نوبة الغضب ظللت أبكي كالطفل الذي استوعب لأول مرة أن أمه ماتت، احتضني دون استئذان ليفوز بالموقف بأكمله، بينما ضميري يجلدني لما فعلته الآن بيكائي هذا بعدما كنت في موضع قوة، وظل يعتذر بارتباك وتوتر.. قامت ثورة بداخلي منذ أن لمس جسدي أضلاعه، وارتعشت خلاياي.. ولم تطمئن نبضة واحدة بداخله، نفضت جسدي من داخله فجأة، وقلت بقوة لا تتناسب مع وجهي الغارق في دموعه واحمراره:

- أنا مش عايزة «أسف» أنا عايزة أعرف.. هو أنت طول الوقت ده محبتيش؟! طب أنا إزاي حبيتك من أول مرة شفتك فيها؟ إزاي لما حكيتي على كل نزواتك ووساختك دي وافقت وكملت معاك؟ طب كان معناها إيه بقي وحشتيني وإنك ملكش غيري وإني كل حياتك هاه؟! هاه؟!

صرخت في وجهه وأنا أختم أسئلتي بسؤال أكثر تعقيداً:

- أنا مش مقتنعة بالهري اللي أنت قولته ده، أنا عايزة أعرف المشكلة

فين دلوقتي؟!

- سلمى!

دق قلبي في صدمة، واتسعت عينايا، وصمت لأستوعب ما

سمعته للتو، ربما يكن هذا هاتفي الداخلي الذي دائماً ما يذكرني بها،  
يستحيل أن تكون هذه هي الكلمة التي خرجت من فمه رداً على  
سؤالي.. مستحيل!!

- المشكلة في سلمى يا سارة!!  
تلقائياً قلت:

- سلمى؟ سلمى مين؟! سلمى إزاي؟!  
قال وهو يضم شفثيه في أسف وشفقة على ما سيقوله:  
- الله يرحمها... سارة أنتِ كل كلامك بيبقى عن سلمى، كل  
قعدانا بتقلبيها زعل وعياط، كل مرة بحاول أضحكك بتحسسيني  
بالعجز والفشل أو إني مش مكفيكي مثلاً، أنا أوقات كنت بتمنى إني  
أنا اللي أموت عشان تحبيني بالشكل ده!!  
استجمع ما تبقى من شجاعة ليقول بلوم سرقه مني:  
- سلمى كانت بتعملي.. سلمى كانت بتقولي.. سلمى وحشتني..  
طب وأنا!؟

ربما هذه هي أغرب صدمة تعرضت لها خلال حياتي كلها، سلمى؟  
أيقارن نفسه بسلمى؟ أيحزنه حبي ووفائي لها؟ أيوجعه فقداني لها لأنني  
لا أفتقده بالمثل؟!!

ومن فرط الصدمة صمت لكي لا أسيء الفهم، ربما يقصد شيئاً  
آخر..

- أنا يمكن حسيت كذا مرة إنك بتحبيني، بس عمري ما حسيت إنك مش قادرة تستغني عني أو إني بجد فارق معاكي..  
ارتفع حاجبائي في صدمة أكبر، بينما هو حاول إقناعي بإمساكه يدي فنزعتها منه في عنف لا يتناسب مع ارتعاشها، ليكمل بمثل هذه المرة:

- إحنا لو ارتبطنا هتلاقيني في مرة مش قادر أهتم بيكي أو أكلمك ، وهسيك وساعتها هيبقى الوجدع أكبر.. لو كملنا أصحاب فنبقى بنضحك على نفسنا.

نظر أرضاً هذه المرة وقال بعتاب لم أصدقه فيه:

- صدقيني أنا بوجدع نفسي بالقرار ده قبل ما أوجعك بيه، بس هو ده الصبح، ولو غير كده فأنا هحس إني مزيف وبعمل حاجة مش داخله دماغى.. غير كده هحس إني مرتبط بسلمى مش بيكي أنت!!  
ليعلن بجملته الأخيرة الحرب، وينطلق لساني مندفعاً بكل ما يحمله قلبي من آلام:

- أولاً مسمعكش بتجيب سيرة سلمى - الله يرحمها - على لسانك،  
عشان هي أنضف من إننا نقعد نجيب في سيرتها وهي في قبرها  
مبتعملناش حاجة

تماسكي يا عيني، وسأطلق سراحك فيما بعد، تماسكي الآن.  
- ثانياً أنا مش فاهمة.. يعني إيه غير كده هتحس إنك بتعمل حاجة

مش داخله دماغك؟! هو إيه اللي يدخل دماغك يا سيف، فهمني  
عشان أنا بس دماغي صغيرة شوية وممكن أكون فاهمة غلط?!!!

وبشجاعة فاقت شجاعته بمراحل عدة قلت بغضب عارم:

- أنا أقدر أقولك السبب الحقيقي.. أنت مش قادر **have**  
**fun** معايا كفاية زي ما كنت بتعمل مع اللي قبلي.. أنت أصلاً عايز  
حاجات تانية أنا وأنت عارفينها كويس وعارفين إني مش بعملها!!  
أنت محبتينش!!

- سارة أنا مش قصدي اللي فهمته، أنتِ أنضف حد شوفته في  
حياتي..

قلت بنبرة صادمة:

- أنا أنضف حد شوفته في حياتك؟ بجد دي شهادة أعتز بيها من  
واحد وسخ زيك!

ليرد صدمتي بصدمة أقوى على التحمل، ويصفعني على وجهي  
بقوة جعلتني أسترجع كل آلامي النفسية والجسدية.. وتبع ضربته  
قوله بنبرة عالية وصادمة:

- صدقتيني لما قولتلك طبعي وسخ!!! كفاية بقى!! أنتِ  
هتعايريني بالي حكتهولك زمان!

احمر وجهي من الغضب ومن أثر الضرب صمت لدقيقة أستوعب  
بينما ظهرت عليه علامات الندم، قطعت الصمت وأنا أنظر لعينه

مباشرة وأقول بثبات لا أعلم أنه داخلي:

- أنت كبيرك تضربني قلمين عشان فاكرني هنزل تحت رجليك  
وأتأسف لرجولتك اللي أنا جرحتها، اللي هي أساساً مش موجودة..  
أنت مش راجل أصلاً!! ولا عمرك شमित ريحة الرجولة، ياريتني  
فعلاً سمعت كلام سلمى ومجريتش ورا واحد كل همه إنه ينام معايا!  
وبصقت في وجهه بقوة!!

وانطلقت مسرعة في الاتجاه الآخر، أستقل تاكسي ووجهي امتلاً  
بالغضب ولساني مرتعش يأبي الكلام.. واتجهت السيارة للمقابر..  
لسلمى..

\*\*\*

تكتفي الحياة بصفعنا مرة واحدة بينما نحن نستلذ الألم ولا نكتفي  
أبدًا منه، كما لا نكتفي من البكاء، الصراخ.. ولا يكتفي الوجد من  
أخذ كل ما نملك بالتدريج حتى لا يتبقى لنا أي شيء سواه.  
وما سلب مني الحب شيئاً سواه، والتقطت أنا نفسي ونفسي دونه!  
أخذت الصدمة طريقها إليّ، لم أكن لأستوعب كل ما حدث في يوم  
واحد، اكتفيت بالبكاء، وأنا أحدث سلمى جهراً.. جثوت على ركبتي  
في ضعف أو وجهه لأول مرة وحدي، بكيت لساعات في هذا الوضع،  
وسمعت هاتفاً يرن بداخلي بصوت سلمى.. يخبرني أن أكتب.

\*\*\*

## لبتة الحاضر يمضي، لبتة الماضي يحذف للأبد

«كيف يمكن للمرء أن يركض محمومًا  
في اتجاه إنسان ثم يعود يركض في الاتجاه  
المعاكس؟»

رضوى عاشور



- لو كنا شيلنا كلمة مينفعش من كلامنا كان نفع .. كان زمانا لسه  
بنلعب أسئلة زي كل يوم آخر الليل .. أبصلها وأسألها .. إيه الحاجة  
اللي تخليكي تسيبيني؟
- كنت هرد عليه وأقوله مقدرش وأزعق وأنا بضحك .. كنا  
هنفضل باصين لبعض شوية وهنسكت .. لحد ما فتكر إن الدور علي ..  
بتحبني؟
- بموت فيكي .. وعمري ما هفرط فيكي .  
- كان حلو أوي الكلام .. بس فضل كلام .. كلام ..  
نفسك في إيه؟
- هتزعلي؟  
- نفسك تحضني؟ ..  
.....
- بتحب فيا إيه؟  
- حاجات كثير ..  
- ولا حاجة .. بتحب نفسك فيا .. بتحب شكلك جوايا ..

مبتحبنيش ..

- علي فكرة الدور علي!

نفسك في إيه؟

- هتزعل؟

- نفسك تضربيني؟

- نفسي متخبيش أملي .. نفسي أطمئن، نفسي تحبني بجد .. متحبش

نفسك جوايا وتحب جسمي وبس.

- خايقة مني؟

- ده دوري على فكرة!!!

لو طلبت منك تبعد هتوافق؟

- مش هتقدري

- مش هقدر أطلب؟

- مش هتقدري تبعدى.

- طب ابعد

- أدبكي طلبتي، وريني هتعيشي إزاي ..

أنا لسه بحبك .. إديني فرصة ..

- دورك.

- آخر طلب ممكن تطلبه مني.

- ابقني طمني عليك.

- بتبعدي ليه من الأول؟
- ده دوري بطل نصب.
- طلب ممكن تطلبه مني.
- خلي بالك من نفسك.
- نفسي معاك.. خدتها ليك وسبتيني تايهه
- محدش بيموت تايه أكيد هتلاقي الطريق
- دورك
- هتفتكريني؟
- هحاول أنساك
- هتنساني؟
- هحاول افتكرِك.
- مكانش نفسي ده يحصل.. أنا آسفة.
- مكانش نفسي أوصلك لده.. أنا آسف..
- آخر سؤال.
- بتحبيني؟
- بموت فيك.. وأنا عايزة أعيش.
- بتحبيني؟
- بعيش فيكي.. وهتخليني أموت..
- هتمشي؟ مش هتمسك فيا؟ مش هتحاول تحلها؟

- اللعبة خلصت ..

#الموقف

\*\*

## 19 ديسمبر 2017

وما نستنجه من جميع أوجاعنا، أن الألم سينتهي يوماً.. ولكن لن ينتهي أثر الدرس القاسي الذي علمك إياه أبداً.. أبداً..

كانت رانيا مندهشة مما قصصته عليها، فبعد ذلك اليوم انعزلت بداخل قوقعتي أكثر وعندما علمت بالأمر حادثني وتقابلنا لتفهم مني، وبعد أن قصصت عليها بمشاعر جافة ملولة، اقترحت عليّ أن أذهب إلى الطبيب النفسي الذي أخذت معه بعض الجلسات بعد وفاة والدتها، أخبرتني عنه وعن طريقته المريحة في التعامل نفسياً ومادياً، أقنعتني بالفكرة عندما قالت:

- وأهو تلاقى حد تدردشي معاه غيري ياستي عشان متقوليش إني مشغولة عنك وناسياكي أنا والله مسحولة في الشغل وسنة رابعة دي.

صمت لدقائق .. وقلت في استفهام:

- هو إحنا في سنة رابعة دلوقتي؟!

\*\*

آه من الفجوة الزمنية بين ما نريده، وما نحققه.. آه من وجع قلب احترق آلاف المرات بآلاف الأوجاع ولم تطفئه قطرة أمل واحدة، آه من

ذلك الحب الذي يفقد بريقه فيفقدنا كل شيء، لحسن حظي أن ذكرت رانيا أمامي سيرة الجامعة والكلية، كدت أن أنسى أن الامتحانات على الأبواب.. ماذا أفعل يا ربي أرهقت من فرط التفكير.. عُصرت من فرط الوجد.. وتمت.. ولم أجد طريقي أبداً.. بالاتفاق مع رانيا بدأت أجهز عدة الامتحانات التي اقتربت مني كما اقتربت من اليأس بخطوات قليلة، وحجزت مع ذلك الطبيب النفسي جلسة في آخر الشهر، تحديداً في ليلة رأس السنة الجديدة، وهو تاريخ كنت اعتدت على ذكرياتي فيه مع سلمى، على أي حال سأدخر بكائي وكلامي لهذا الطبيب، وسأكتب قدر المستطاع.

\*\*\*

### 31 ديسمبر 2017

- سارة صلاح الخياري؟ اتفضلي من هنا..

ودخلت إلى مكتب مريح للنظر وللكلام وللنوم أيضاً، وفي توتر جلست في مواجهة هذا الشاب الثلاثيني، د. حسن كمال.. نظرتي من وراء نظارته بابتسامة مزيفة اعتاد عليها بسبب عمله، اتكأت لأغرق أكثر داخل هذا المقعد المريح.. أعطاني إشارة ببدء الكلام فسألت:

- مم، أبدأ من الأول خالص صح؟

- زي ما تحبي أنا سامعك.

وبكلمات متلاحقة ومتلاصقة قلت باندفاع، سردت عليه حياتي،

أو ما تبقى منها.. حاولت ترتيب الأحداث، بداية من إعجابي سرًا بشخص لم يكن لي أي مشاعر، ورقصة في غاية الرومانسية لم تخل من التوتر والخوف والمشاعر المرتبكة من طرفي، بينما كانت بالنسبة له مجرد حدث يومي عابر، وإحساسي بالذنب ليلتها من تلك اللمسة التي لم ينسها جسدي رغم كل ما مر عليها من شهور، وكيف تجزأت مبادئنا وهدمت أفكارنا فيها وأبينها من جديد، وساعدتني في ذلك سلمى، ولكن سرعان ما بدأ اكتئاب الامتحانات فاستعدت لها وأجّلت ذلك الاكتئاب والتفكير المفرط للإجازة التي أتت بسرعة لتبدأ بدهسي بسيارة وسكون معظم أطرافها بداخل الجيرة والجبس لأعجز جسديًا كما عجزت نفسيًا، وبعد ليالٍ طويلة من التعافي عاقبني أبي وصفعني للمرة الأولى في حياتي عندما رأى صورتي مع تركي في تلك الرقصة السخيفة، وبمرور الوقت استطعت أن أقابل تركي لأخبره بكل شيء بداية من أنني أعجبت به ولا ضرر في ذلك فهي مشاعر لا أتحكم بها، نهاية باختطافه في حضني إجبارًا وليس اختيارًا لأستمتع بما تعاقبني الدنيا عليه، ومن ثم تعرفي بسيف وأصدقائه وكيف تقربت إليه في أيام قليلة أخذ فيها وقتي وقلبي وثقتي كلها، وكيف كانت تحذرنى منه سلمى ومن حديثه المفرط عن نفسه، ومن ثم موت سلمى فجأة وذلك الحزن البارد الأخير، سردت له أيضًا عن أيام الاكتئاب الحاد خاصة بعد موت ماما لبنى وكيف دخل سيف في هذا الوقت

تحديدًا واقتحم ما تبقى من قلبي ليسكنه ويرجّه في غير استقرار، وما تبعه ذلك من حطام، ربكة، خوف، وفراق مؤلم غير تقليدي... وعن صفحة كتاباتي التي أصبحت معروفة على الفيسبوك وبتوتر شديد أنهيت كلامي بذلك البكاء الذي أصبح عادة يومية..

ارتفع حاجباه في دهشة وضحك معًا، حاول التركيز ولكن تشتت من كثرة الأحداث وقال:

- طب براحة بس هههه.. أنتِ عايزة نتكلم عن أنني حاجة في دول بقي؟

مددت يدي بداخل الحقيبة لأخرج منها الأجندة التي سجلت بها كل ما حدث في الآونة الأخيرة وأعطيتها له وأنا أقول:  
- ده..

وفي اندهاش شديد من سرعة حركتي حاول استيعاب الأمر كله، طلب لي عصيرًا لأهدأ قليلًا بينما هو يتصفح الأجندة ويسألني من حين لآخر عما حدث في هذا اليوم وعما أقصده بهذا وأنا أشرح بحماس لا أعلم من أين جئت به، ربما هو حماس لآخر قطرات اليأس.. قال بتركيز بعد أن تصفح عدة ورقات أعطيتها له:

- سارة.. أنتِ عندك فكرة حياة أي بني آدم بتمشي في أنني سكة؟  
هززت رأسي وقلت بسخرية لاذعة:  
- آه.. سكة اللى يروح ميرجعش.

ابتسم ثم نظر لي بجدية وقال:

- أي واحد مننا ييمشي في 7 سكك أو 7 اتجاهات.. أو زي ما بنقول عندنا في علم النفس.. 7 جوانب للحياة.. لما بتحصلك مشكلة معقدة في جانب منهم اعرفي إن لسة في 6 جوانب مفتوحة.. مكتوب عليها «خروج الطوارئ»

وحدثني عن ما سماه بجوانب الحياة السبعة للإنسان، التي ذكر أكثر من مرة مدى اتصاها ببعضها البعض، فهناك الجانب الروحي الذي يتمثل في علاقة الإنسان بروحه أو بدينه، وربما يكن أهم جانب فيها وأكثرها اتصالاً بالسطة المتبقية، وهناك الجانب الصحي، والشخصي الذي تصب فيه كل التغييرات التي تحدث في شخصية الإنسان، وأيضاً الجانب العائلي، والاجتماعي الذي يتمثل ليس فقط في المجتمع والأصدقاء ولكن أيضاً في الحب الذي إذا ما صلح توازنت الجوانب السبعة، وإذا ما فسد انتشر الاكتئاب إلى جميع الجوانب فيفسد كل شيء ويتعفن ولا يصبح له أي طعم أو شغف، أما الجانب المهني والمادي فهما ما يسعى الإنسان إليهما كل يوم تقريباً فكلاهما يؤدي إلى الآخر، ويصب في الآخر كالسبب والنتيجة..

وبعد شرح بعد النظريات المماثلة قال بشغف لا أعلم من أين اكتسبه خاصة مع منظري هذا:

- شطارة البني آدم بقي، إنه يحاول ينجح في الـ7 جوانب، لو عرف

هيبقى أسعد إنسان عالارض، لو فشل فيهم كلهم.. هيبقى أتعس  
إنسان على وجه الأرض.. لو نجح في شوية وفشل في شوية يبقى  
لحظات انبساطه قد لحظات يأسه.. فاهمة حاجة؟!!

هزرت رأسي وقلت بثقة انهزامية.. ثقة في انهزامي ذاته:

- أنت شوفت مسلسل **13 reasons why** ؟ في المسلسل  
بيتكلموا على البطلة اللى انتحرت بسبب «مراهقتها» عارف قالوا  
عليها إيه؟

**Oh man This girl was too much !**

مع إن المراهقة هي الـ **Too much** .. وأحداث حياتنا هي اللي  
**Too much** .. وأول حب هو اللي **Too much** .. الموت **Too much**  
.. لكن إحنا؟

**Have nothing to do with this too much life.**

نظري بتأمل في فلسفتي وقال:

- بس إحنا عندنا حاجة نعملها!!

نظرت له في تساؤل ودون أن أنطق، قال بصوت تحفيزي كنت  
أحتاجه:

- هنكتب.

\*\*

أحياناً تكتب فتغرق الكرة الأرضية بأكملها في دموعك.. وأحياناً

أخرى تضحك ضحكات عالية غير مبررة لا تدل سوى على اكتئابك،  
وربما انهيارك..

اتفق معي الطبيب على واجب أسبوعي ألا وهو الكتابة، وجلسات  
أسبوعية ليتابع معي ما كتبته، ظناً منه أن هذا سيسفني جراحي،  
جلست أكتب واجبي الأسبوعي وبداخلي سؤال يراودني منذ أن  
ولدت تقريباً! وماذا بعد؟

\*\*

## 7 يناير 2018

نظر لي الطبيب بعين راضية مندهشة مما كتبته وبعد كلمات التشجيع  
والدعم قال لي برفق:

- حاسة إنك بتبقي أحسن لما بتكتبي؟
- نظرت له في هدوء هذه المرة دون أي ضحك فقط ابتسامة خفيفة:
- حاسة إني بحس لما بكتب.. الحاجة الوحيدة اللي بتخليني أحس!
- أغلق الأجندة ورجع بظهره ليستند على كرسيه في راحة ويقول:
- طب ها.. هنتكلم عن إيه النهارده؟
- اتكأت أنا الأخرى في كرسيّ وأنا آخذ الأجندة أتنقل بين  
صفحاتها، استقر على صفحة امتلأت بعلامات البكاء وكثرة علامات  
الحبر العشوائي وأخذت أتحدث:
- عن سلمى

أشار إليّ بالبدء، أخذت نظرة للأجندة سريعة ثم أغلقتها وبدأت كلامي بـ:

- سلمى لو مكانتش ماتت في حاجات كثير أوي مكانتش هتحصل.

أتعلم ذلك النوع من العتاب الذي تعاتبه للقدر؟ تلك الأحداث السخيفة التي لا نتوقعها أبداً والتي تليها سلسلة أسخف من الأحداث والاكتئاب! ربما أكون غير طبيعية واستهلكت وقتي في الحزن على ما فات، ولكن ما هو متفق عليه وغير قابل للشك، أنني أفقد سلمى بكل نبضة داخلي أفقدها! أفقد مبيتي عندها في منزلها، سهراتنا على الأفلام القديمة والمسلسلات الأمريكية، حتى بكائنا سوياً أفقده، لم أتخيل أبداً أني كنت سأبكي كل هذا البكاء من دونها، من دون أن أجدها تربت على كتفي أو تحتضني بدفء وحب، حتى شجاراتنا السخيفة أفقدها، اكتشفت أنني لا أريد أن يصبح لي صديقة غيرها وإن كانت مثلها.. ولكنها لن تشبهها في شيء، أخاف.. أخاف من أن أجد صديقة طيبة بنكهة تشبهها وبالوقت أنسى سلمى، وأنسى كيف كانت حياتنا سوياً، أعياد ميلادي لن يصبح لها طعم بعد الآن بدونها بل ستصبح سيئة ومرة، لن أنسى سلمى مهما مر الزمن، لن أنساكي يا حبيبتي..

دمعت عيناى بشكل دموي وختمت بسؤالى:

- هو أنا استاهل يحصلي كل ده؟!  
هزرت رأسي في استفهام، حتى يقول:  
- بصي يا سارة، أنا مش هتفلسف وأقولك إن الحياة ممكن تكمل  
بشكل طبيعي بعد ما حد يموت، لأن الحياة اللي كانت طبيعية، كانت  
كده بوجود شخص ما مبقاش موجود دلوقتي، بس ممكن تتغير  
طبيعتها دي لطبيعة ثانية مش مماثلة للي أنتِ شوفتيه، بس حلوة،  
وتتعاش

عقدت حاجبي في علامة للغباء وقلت في سخرية:  
- لا أنا شكلي استاهل اللي أنا فيه.. مش فاهمة حاجة!  
ضحك بشدة وهو يحاول تبسيط الأمر:  
- يعني يا سارة أنتِ ليه بتعافري عشان ترجعي حياتك لطبيعتها  
وسلمى مش موجودة فيها، وحياتك دي اتغيرت وأول حاجة اتغيرت  
فيها أنتِ!!

- آمال أعمل إيه!!  
- اعملي حياة جديدة، حياة تالته خالص بعيداً عن كل العك اللي  
حصل ده، حياة بدأتها من اللحظة دي فالتالي الماضي بتاعها صفر!  
استندت على المكتب في وضع أقرب للنوم وأنا أقول بطفولة:  
- هو ممكن؟!!

\*\*

## 14 يناير 2018

ارتشف من قهوته طعمًا ليس أمر من حياتي التي أسردها عليه،  
وقال باهتمام:

- بعد المجهود اللي أنا شايفك بتبذليه في الكتابة ده، متحمس  
أسمعك النهارده، نفسك نتكلم عن إيه؟  
أخذت نفسًا بصوت مسموع وقلت وعلامات اليأس تملأ وجهي:  
- الحب!..

قد يكون فراق الموت شعورًا صعب استيعابه أو تقبله، ولكن  
الأصعب أن تشعر بأنك لا تستحق حب من حولك، خاصة إذا كنت  
تجهم!

وشتان بين إعجاب قد لفت انتباهك ووهمك، وبين الحب ذاته،  
الحب الأصلي غير المقلد، تحت كل الظروف والمشاكل تقبل بنفسك  
محبًا بل تفخر أنك في علاقة تعطي فيها أكثر مما تأخذ، علاقة سامة  
تمتص كل يوم جزءًا من روحك تحت مسمى الحب، لتترك بلا روح  
فقط آثار للحب وذكرياته، والكثير من ألم النفس، ووخز الروح..

عندما شعرت بطيف سيف يخلق في سائي الخاصة، يخرق  
حدودي بل يجرقها، ليصل إلى أبعد نقطة في قلبي، وجدت نفسي لا  
أستطع المقاومة، لم أستطع ألا أتخيل تفاصيله وأغرق فيها دون منقذ

أو حتى مرساة، وجدتنا نندمج كالتوأم، كانعكاس مرآة، وفي كل مرة كان يخيب ظني، تتشوش تلك المرأة أكثر فأكثر حتى انكسرت لأجزاء، وأصبحت مخيفة، مؤذية، وغير حقيقية.

سحبت منديلاً من علبة المناديل أمامي ومسحت وجهي برفق وأكملت وأنا أنظر لوجهه لأول مرة منذ بداية حديثي:

- هو إزاي ممكن البني آدم ينجذب ويحب ويعشق آخر شخص مناسب ليه في الكون؟ وكان فين الشخص المناسب في الوقت ده ويعمل إيه؟ يا ترى هو كمان مضيع وقته مع ناس مش مناسبين؟ ولا الموضوع مش في دماغه أصلاً؟

وجدته يرتشف من قهوته آخر قطرات مرارتها ويقول بنفس الهدوء والثقة:

- ممكن يكون بياكل مثلاً.

ابتسمت من بين دموعي منتظرة لنصيحته الذهبية الأسبوعية.

- أنت عارفة إيه اللي بيمنعنا نشوف الحب الصحي والسليم من أول مرة؟

هزرت رأسي في عدم معرفة وقلت:

- أعدمك لو كنت أعرف.

ضحك من تلقائيتي، واقترب ليسند ذراعه فوق مكتبه، بينما رأسي مستقرة على الجهة الأخرى من المكتب كالأطفال تمامًا، قال بتركيز:

- الحب نفسه هو اللي بيمنعنا من الحب، احتياجنا إننا نبقى في قصة  
واو زي الأفلام والمسلسلات هي اللي بيخليكي تستعجلي وتدخلي في  
أول قصة حب تقابلك مع أول gentleman تقابليه في طريقك، مع  
إن لا دي قصة حب، ولا هو gentleman  
وأكمل في استنتاج بديهي:  
- مع إن الحب لوحده مش كفاية.  
- آمال إيه اللي كفاية؟  
نظر لي واختطف نظرة لورقة استقرت أمامه كتبت بها الجوانب  
السبعة، ثم نظر إليّ مجددًا وقال في صبر لم ينفد:  
- التوازن.

\*\*\*

## 20 يناير 2018

ذلك الخوف الذي لا يمنعك فقط من النجاح، وإنما من البدء في  
حد ذاته، ليس فقط خوفًا من الفشل، وإنما هو خوف من البدء في  
طريق قد يكون به كارثة جديدة تتخلل حياتي العشوائية فتربكها من  
جديد، وأقضي وقتي كله في محاولات يائسة أن أصلح ما أفسده العالم  
بداخلي، وإن كانت نظرية السبع جوانب الحياتية هذه صحيحة خاصة  
أنها معقولة إلى حد كبير، فبذلك قد يتبقى لي باب مفتوح قد أخرج منه  
إلى حياة جديدة لا أنتظر شيئًا منها سوى الاستقرار، اتفقت مع طبيبي

أنني مازال أمامي جانبان احتياطيان للتنفس من خلاهما، الجانب المهني، والمادي.. حسنًا حتى الآن لا أواجه مشكلة بهما.. لا أواجه مشاكل دراسية أعتقد أنني أبليت حسنًا في الاختبارات، حسنًا.. هاتفي يدق إنها رانيا.. نعم أنا متفائلة بهذه المكالمات..

- سارة أنتِ شيلتي مادتين!!!

متى سيتم إغلاق الباب السابع من فضلك؟!!!

\*\*

لماذا تنجذب الكوارث إلى شبيهاتها؟ هل هناك نظام كوني ما يحتم على حدوثهم بشكل متلاحق ومتتالٍ؟ أو أن هناك نظامًا بينهم فتتفق الأولى أن تأتي اليوم، وتليها صديقتها غدًا، أما الكوارث الكبرى فتؤجل إلى النهاية حتى ينكسر ظهرنا تمامًا!

أشعر شعورًا قويًا بأنها ليست نهاية الكوارث، إنها مقدمة فقط.. وعليّ الآن مواجهة حقيقة فشلي، كما سأواجه أهلي بها.. فقد صبرا عليّ لمدة تزيد على الأربعة أشهر في حالة اكتئاب مزرية، كيف سيستقبلان مثل هذا الخبر؟!

\*\*

- يا نهار أسود يا سارة أنتِ مش قولتي حلتي كويس؟!!

- أنا آه قولتلك اكتبي وطلعي طاقتك في الكتابة، بس مكانش قصدني تيجي على دراستك!! أنا سكت عشان تاخدي وقتك لكن

بصراحة درجاتك دي مش مقبولة!!

قلت بتنهيده حار:

- أنا عارفة إن دي أول مرة أشيل مواد في حياتي كلها، بس خلاص  
دول مادتين بس.. ده كويس إنني حليت أصلاً!

قالت أمي بتوسل:

- أيوه يا سارة محدش قالك حاجة، بس أنت بصراحة طولتي  
أوي ودخلتي نفسك في اكتتاب مبيخلصش يا حبيبتى، نسيتي نفسك  
ومذاكرتك واكتتابك ده جه عليك!

قلت بتعجب:

- جه عليّ إزاي معلش! إزاي كان هو اسمه اكتتاب يعني هو  
تعريفه إنني مش قادرة أعمل حاجة أو آخذ خطوة لقدام وكارهة  
عيشتي وحياتي!

تغاضى أبي عن كلامي وقاطعني بغضب مكتوم:

- دي آخر سنة ليكي.. مينفعش تيجي دلوقتي وتتعبى.. يا ستي  
اتخرجي وبعد كده اعملي اللي أنت عايزاه محدش هيكلملك!  
قلت بتأنف:

- حاضر يا بابا أوعدك مش هتتكرر تاني، ممكن بقى تسيبوني  
أكتب دلوقتي وأول ما الترم الثاني يدخل هزقطط وانبسط وأجيلكوا  
تقدير ممكن؟!!!

ليكشف أبي عن جزء من غضبه:  
- إحنا غلطانين يعني عشان خايفين لا تسقطي!!  
لتحاول أمي تهدئة الوضع:  
- خلاص يا صلاح هي عرفت غلطها.. ميهمكيش يا سارة حصل  
خير، إن شاء الله هتعوضني الترم الثاني.  
وانقلبت دفة الحديث بقول أبي:  
- خير إزاي بقى يا هدى والهانم شايلة مادتين!! يعني لو شالت  
مادة كمان هتعيد السنة ولا أنتِ فالحة تدلعيها وبس؟!  
- أنا مش بدلعتها أنا مقدره اللي هي فيه هي تعبانة عشان اللي  
حصلها فيها مش قليل يا صلاح.  
ليصرخ في وجهنا:  
- حصلها إيه؟! أنا صاحب عمريبي مات زمان ومعملتش اللي  
هي عملته ده!!!  
لينظر لي بغضب يحرق الأخضر واليابس ويقول:  
- سلمى ماتت يا سارة!! ولو مستوعبتش الحقيقة دي هتضياعي  
نفسك وهتضياعي مستقبلك!! سلمى ماتت.. وخلصونا بقى من  
وجع القلب ده أنا كفاية عليّ مشاكل الشغل ومصاري فكو.  
ربما هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي أغضب فيها بهذا الشكل،  
لا أتذكر سوى أن ارتفع ضغطي من فرط الصدمة، وخفق قلبي

ليستوعب الحقيقة المؤلمة لأول مرة.. وجدتني أصرخ فيها.. والدموع  
ملولة من فرط استهلاكها:

- أنا بروح لدكتور نفسسسسسي!!!!!!!

انهرت في البكاء وأنا أكمل:

- أنا بروح لدكتور نفسي بتعالج عنده وبتكلم معاه عشان أخف،

وأنتو كل اللي هاعمكم أنا جبت تقدير ولا لأ!

نظرت لأبي المصدوم وقلت قبل أن يستوعب ما قلته للتو:

- أنا مش مستنية حد يفكرني إن سلمى ماتت يا بابا، أنا عارفة إنها

ماتت.. أنا بس مش عارفة استوعب إني لوحدي.. كنت متشعلقة

فيك أنت وماما تساعدوني لكن الظاهر إني بقيت عبء عليكم..

تصبحوا على خير.

هرولت إلى غرفتي، أستوعب ما قلته للتو، وأتخيل كل

السيناريوهات الممكنة، أقسى عقاب أو أكبر مكافأة قد أحصل على

إحدهما الآن.. ولكنني تمنيت شيئاً واحداً.. أن أختفي.. أتلاشى..

للأبد.

\*\*\*

21 يناير 2018

نظرت لطبيبي، وعيني غارقة في همومها، كما كان لساني يقص عليه

ما حدث، قلت بارتباك بعدما انتهيت:

- أنا عايزة ماجيش تاني، هينفع؟

ويسعة صدر وافق، فقد كتب لي بعض المهدئات التي قد أحتاجها، وأعطاني بعض النصائح.. ولا أعلم من أين جئت بهذه الشجاعة.. ولكنني أردت بقوة أن أتعافى وحدي، بنفسى، ولنفسى.. وربما كانت الكوارث القادمة أعظم من هذا.. ولكنى.. بشكل كئيب وعميق.. لا أريد أحدهم أن يقص عليّ حياتي ويخبرني كيف أعيشها، أردت فقط أن يستمع إليّ أحدهم.. ويخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام.. ولكن بعد ما رأيته في حياتي.. أيقنت أنني الوحيدة التي تستطيع أن تخبرني هذا، وتطمئني.. أن كل شيء.. سيكون كما ينبغي منه أن يكون.



## عالم تحلته الروايات

ويُحكى في العمر، قصص كثيرة بدأت  
بـ«كان يا مكان»، بينما إحداهن مميزة خُتِمت  
بـ«كن فيكون».

سماح هشام



## 1 فبراير 2018

«وما كنت أحلم سوى بعالم يجمعنا، في راحة كفيك أسترخي مطمئنة.. وجدت عالمي يهتز، يرتبك متفاجئًا من قبضتك عليه.. وجدتني أدهس بداخلك.. أتمشم.. وأموت فيك»

كاتبها على صفحتي، وأطرقت مفكرة في تلك الشجاعة المفرطة التي نزلت بي فجأة، بل فكرت في كل تلك الأيام الفائتة، وفي قوة تلك الضربات والصفعات التي تلقيتها واحدة تلو الأخرى، وكيف أن الحياة بين يوم وآخر قد تنقلب رأسًا على عقب، فتجد نفسك في آخر مكان تتوقعه، ليس على حافة الهاوية، وليس في الهواء تسقط بسرعة قانون الجاذبية الذي لا يرحم، ولكن على الأرض، تهشمت أطرافك، وتبللت ثيابك غبارًا وطينًا، وارتعشت أوصالك وأبت الحركة إلا من ارتعاش يجيي فيك أملًا ويطفئ آخر.. مغمض العينين، لا أنت تحلم ولا أنت بيقظ، فقط تقاوم من عنف الحياة ما تستطيع، فتجد نفسك هالكًا في دروب ذلك العنف، لا يسترخي

فيك شيء سوى الألم، وما تبعه من أوجاع مبالغ بها.  
ما عساي أن أفعل؟ والأهم ما الذي فعلته بنفسني لأجدني هنا..  
أهلك ذاتي وأحطم جوانب حياتي واحداً تلو الآخر، أرفض رقصة  
رومانسية للغاية وأهين ذاتي على فعلها، لأجدني بعد شهور عدة أقبّل  
شخصاً لا يرى مني إلا جسداً مثيراً رغم هلاكه، ذات الجسد الذي  
تهشمت أطرافه في حادث سيارة لأبدأ إجازتي باكتئاب حاد، وتشوه  
ليس فقط للملححي ولكن لبراتي التي فقدتها، وجسد لا يستطيع حتى  
المقاومة، ليتعافى جسدي شيئاً فشيئاً لأجدني حبيسة دوامة أخرى،  
دوامة تبدأ باختياري الغبي لذلك الحب أن يشاركني حياتي الآن،  
فلم أكتفِ بالاختيار الخاطيء فحسب ولكنني اخترت أسوأ توقيت  
قد يقع فيه أحدهم بالحب، وهنا يراودني سؤال، لماذا يغير الحب  
بداخلنا ما لم يستطع سواه أن يغيره؟ لماذا يتغير الإنسان عندما يقع  
بالحب؟ فتجده تائهاً مشوشاً لا يرى إلا شيئاً واحداً ولا يريد أن يرى  
شيئاً سواه.. فإن كان الألم يغيرنا كما يقولون، فإننا بذلك نتغير مرتين،  
مرة عندما نقع بالحب تائهيّن في عالم لا تتضح فيه الرؤية، شاردين،  
لا نقوى على شيء سوى التفكير، ومرة أخرى عندما يطعننا الحب  
ويؤلمنا، ولا نرى سوى الألم الذي يصمم على أن يخلع رداء الخوف  
والضعف ويتركنا مخذولين، موجوعين.. ولكن أقوياء.  
في حالتي، تضاعف ألمي مرات عندما ماتت سلمى، لأرى العالم

أسود قائماً لا أمل فيه بعدما كان مشوهاً بنقاط النور المتباعدة، وتضاعف أكثر عندما تركني سيف من أجل لا شيء سوى أنه لا يقوى على تحمل مثل مشاعري الفياضة، ويؤسفني أن أخبرني أن هذا الألم والحب عانيت فيه أكثر مما ينبغي، وأن تلك الصفعة التي أخذتها على وجهي وتلك الطعنات التي تحتل قلبي الآن، ما هي إلا نتيجة لذلك الحب، يؤسفني يا سارة أن أخبرك أن هذا الهراء.. هو أول حب حقيقي في حياتك.. ما عساك أن تفعلي يا صغيرة سوى أن تندي بحالك؟!!

ولم تكتفِ الحياة بأن تأخذ مني مبادئٍ وصحتي، وصديقتي وحببي الوحيدين، بل انتشر الألم في حياتي كالسرطان، ليأخذ مني درجاتي وتفوقي في الكلية، ويأخذ رعاية والديّ ولطفها اللذين ملأ منها، بالإضافة إلى مرحي وبهجتي، وتلك الابتسامة المنفتحة على الحياة، التي افتقدتها، ونسيت كيف أبدو بداخلها.

تماسكي، لا يوجد من يشد على يدك الآن، لا يوجد من يخبرك أن كل شيء سيكون على ما يرام، فلتخبري نفسك بذلك، وتشدي على يدك بالأخرى، وتخبري عينيك أنكِ مللتِ من فيضانها الذي لا ينتهي، فلتهدئي قليلاً كي نستطع التفكير.. كي نستطع المقاومة.

والسؤال الوجودي الذي ببالي الآن: كيف يعيش الإنسان بداخل سبعة جوانب للحياة، إن كانت قد تمشمت وتحطمت؟ والأهم..

هل هناك مساحة لإصلاح ذلك أو أن عليّ فقط الاستسلام لما قد يأتي؟

والكثير من الأسئلة التي لا تحمل إجابة مرضية.  
جلست أفكر في ماهية هذا كله، وكيف عليّ تقبله بل وتحسينه  
أيضاً، ها قد مر نحو ستة أشهر يا سارة، ألن تخرجي من تلك الدوامة  
العفنة؟!

\*\*\*

- سارة أنتِ لسه صاحبة؟  
قالها أبي وهو يهمس واقفاً على باب غرفتي، قلت وأنا مازلت  
جالسة على مكتبي أفكر وأخطط بين أوراقى وأفلامي:  
- آه يا بابا بكتب شوية.

نظر لي بشفقة ممزوجة بأسف.. تقدم نحوي، جلس أمامي وبدأ  
في استفساراته عن حالتي النفسية، والكثير من المقدمات التي عقبها  
بقوله:

- أنتِ عارفة؟ أنا كان ليا واحد صاحبي من أيام المدرسة.. اسمه  
وليد مات في أول سنة لينا في الكلية..  
قاطعته مسبقاً:

- بابا أنا مش زعلانة والله خلاص.  
ليقول بمرح افتقدته فيه منذ زمن:

- ما تزعلي ولا تتفلقني أنا عايز أحكيك

ابتسمت وأنا أنصت لحكايات أبي عن صديقه من المدرسة، حدثني عن المعنى الدفين لتلك الكلمة (صداقة) وكيف كانا مقربين لأكثر من عشر سنوات، وعن ذلك اليوم الذي اكتشف فيه أن صديقه الوحيد سيموت خلال أشهر عدة، لم يستطع الانتظار خلالها لأي جرس قد يدق ويخبره أنه مات، سردي أيامًا من الوحدة قضاها مع صديقه بين المستشفيات والعلاج الذي لم يظهر بعد لمثل حالته (سرطان المخ)، وكيف انقضت تلك الأيام بسرعة البرق لم يشعر بذلك الشهرين إلا ووجد نفسه يكفن صديقه ويصلي عليه ويدعو له أن يكون ذلك المكان الذي انتقل إليه أقل وجعًا من الدنيا التي فارقتها، تلك التفاصيل التي لم تغب عنه لحظة واحدة، ظل يتذكرها ليلتها وكل ليلة، يتذكر صديقًا طيبًا كانت تطيب به الدنيا وتحلو مرارتها رغمًا عنها، ذهب من بين يديه فجأة إلى عالم آخر لا يستطع تخطيه أبدًا.

وبين تلك التفاصيل تهت أنا إلى تفاصيلي الخاصة، وإلى ليلة باردة مشثومة لا أكاد أتذكرها حتى تضربني الوخزات التي تنهال على قلبي بلا رحمة، وجددني أدمع وأبكي من جديد، بينما أبي يرى كل ذلك ويتجاهله ليكمل قصته الحكيمة:

- لما وليد مات، ورغم أني كنت مستعد لده، لكنني أول ما عرفت

حسيت بمعنى الوحدة حقيقي مش هزار، ساعتها كنت فاكِر إن دي فترة وهتعدي وهنسى، لكن تعرفي؟  
قالها ونظر لعيني الدامعة التي تحولت للون الأحمر، صمت قليلاً ثم قال:

- وقتها اكتشفت أن الوحدة مش في إن وليد راح خلاص ومش هشوفه تاني، الوحدة في إني كل ما أروح في حتة أشوفه أو أسمعُه وأحس بيه مع إنه مش موجود، كل مرة بقعد مع أصحابي كنت بسمع صوت جوايا بيقولي متحطش حد مكانه مفيش حد زيه ..  
توقف أبي عن الكلام لحظات، وحك عينيه التي غفلته وأدمعت، ربتُ على كتفه في دهشة من منظره ليأخذني في حضنه ويهمس لي:  
- عارفة يا سارة، من يوم ما تجاوزت أمك وخلفتك وأنتِ مليتي عليّ الدنيا، أنتِ كنتِ الاستثناء اللي عرفت أحطه مكان وليد من غير ماشوفه زعلان مني إني نسيتُه ..

أجهشت بالبكاء في حضنه بصوت عالٍ، بينما هو ربت على كتفي في حنان وأكمل:

- أنتِ الاستثناء في كل ده، وأنتِ اللي كنتِ بشوفها بتكبر وبتحلّو وبتنجح كل ما كنت بنسى وليد.. مش نسيان يعني نكران لوجوده، بس تعايش يا سارة.. مش عايزك تبقي زي الوردة الدبلانة اللي بتموت كل يوم عشان مفيش حد يسقيها، عشان مستتية حد

معين بس اللي يسقيها ويرعاها.

أخرجني من حضنه لينظر في عيني وهو يختم كلامه:

- أنا وليد لسه بيوحشني على فكرة، أصله كان واد جدع وأصيل  
وميتنيسيش، بس أنا عشت بعدها 25 سنة الدنيا خدتني في مشاكلها  
ونسيت، بس كنت كل مافتكره أقوم أعمله حاجة أقراله الفاتحة  
أزوره، أكلمه حتى.. بس مبسيش الدنيا تلطش فيّ يمين وشمال يا  
سارة عشان هو سابني ومبقاش موجود عشان يسندني.

لأقاطععه للمرة الأولى وأقول بتنهيده بكاء حارة:

- أنا نفسي أرجع زي الأول.. بس.. بس.. سل.. مى مش م..

معايا

قلتها وأنا أبكي بشدة ليقول بحنان:

- الوجع هيخف، ووشك هينور تاني، وهترجعي سارة الي إحنا  
اتعودنا عليها، وهتعرفي صحاب تاني وهيبالك ناس كثير، هتكبري  
وهتشتغلي وهتتجوزي وتخلفي، ووسط كل ده مش هتنسي سلمى،  
هتفتكريها من وقت للتاني وتروحي تزوريها وترجعي لحياتك  
الطبيعية، فات وقت كثير يا سارة.. مش كفاية؟

قلت له بشرود:

- أوعدك..

\*\*

تلك اللحظة التي تأتي لك فيها آلاف الأفكار الحماسية المجنونة، لحظة نادرة لا تعيشها كل يوم، فقط بين وقت وآخر، وربما مرة كل عام، وفي ذروة يأسك وإحباطك تجد نفسك تفكر بجنون، وغير منطقية، لتصعد إلى مخك فكرة لا تعلم مصدرها أو جدواها، فقط تجد نفسك مللت من حياتك البائسة وقررت التوقف عن نمطيتها، فتظهر فكرة تجعلك تهتف متحمسًا:

- هي دي!

\*\*

## 10 مارس 2018

قضيت أيامي الفاتئة كلها في غرفتي، بعيدًا عن العالم الخارجي، كنت كالعالم الذي يمكث في معمله أيامًا طوال ينتظر نتائج تجربته، أو ينتظر تحديداً نجاحها، وفي حالتي كنت أنتظر أن تجدي هذه الفكرة نفعًا، ظللت أكتب وأكتب لأيام.. لا أرى فيها إلا مشاهد حياتي الماضية، أتخيل كل تفصيلة مررت بها، أتخيل كل ألم وكل وجع مررت به ولم أقوَ على تحمله، انقضت أيامي بين مكثبي وفراشي، أوراقى وأقلامي، والكثير من الكتابة والتخطيط، كانت تلك الفكرة جنونية ولم أجربها من قبل، ولكن شرارة الحماس التي سرت في جسدي وأصابته بالقشعريرة جعلتني أستنتج أهميتها وجدواها.. انعزلت عن العالم، عن رانيا وأصدقائي في الكلية، انعزلت عن

الجميع دون أبي وأمي اللذين جددا لطفهما مرة أخرى ليلائمني  
ويتسق مع حياتي هذه المرة، خرجت لهما بعدما انتهيت من خطتي،  
وبابتسامة عريضة قلت بحماس:

- أنا لقيتها!

لينظر لي أبي الذي هم بالذهاب لعمله بابتسامة مدركة لما أعنيه،  
بينما أمي ترد عليّ بعدم فهم وهي تنظف الصلاة:

- لقيتي الشال بتاعي؟!!!

- يعني بعيدًا عن إني بقول لقيتها مش لقيته، شال إيه بس يا ماما  
اقعدي بس.

- أصل الشال الأسود بتاعي ضاع.. شوفيه كده عندك في الأوضة  
يا سارة.

- بس يا ماما، اقعدي وركزي معايا والنبوي.

وطلبت من أبي أن يجلس أيضًا ووضعت أمامهما الورق الذي  
ضم أفكاره كلها، ورحت أشرح لهما ما أفكر فيه، سردت حكايتي  
مع الطبيب النفسي الذي شرح لي الجوانب السبعة للحياة، وكيف  
أن حياتي تهدمت جوانبها بشكل متتالٍ ومؤلم، وعن أن كل جانب  
قد يؤثر على الآخر بشكل كبير، شرحت لهما كيف سيفيدني هذا في  
حياتي الآن، وعن تلك الفكرة التي حمّستني وجعلتني أستعيد جزءًا  
من نفسي التي افتقدتها، أليس الجانب المادي مازال متاحًا للتجربة؟

هذه هي اللحظات التي طويت فيها الماضي بكل ما فيه، وانعزلت فيها عن أفكارى السوداوية ورحت أفكر في شيء واحد فقط؟ ماذا أريد أن أكون؟

وبعد شرح طويل لهما عما فكرت فيه الأيام الفائتة، وضعت الفكرة أمامهما بشكل مباشر..  
- أنا كتبت رواية -

\*\*

ماذا تكون الحياة إذن إن لم تكن فرصاً نغتنمها ونجازف بتجربتها؟ خاصة إن كانت المجازفة في مكانها وتوقيتها الصحيح؟ وماذا نكون نحن إلا فرصاً اغتنمها غيرنا واستهلكها بقوة دون اعتبار لآدميتنا، قاذفًا بالخطأ علينا أننا سمحنا له بالتجربة من البداية؟ ما هو العالم الحقيقي الذي تتحقق فيه الأمنيات، وتطمئن فيه القلوب بشبهاتها، وتنطلق ضحكاتها عالية مدوية فقط عندما نجدنا نمشي في الطريق الصحيح، في الوقت الصحيح، إلى الحلم الصحيح.. ماذا يكون الماضي إلا غبارًا تراكم فوق أثاث أحيينا بشدة ونسينا أن نغطيه لنحميه من عوامل الجو، فبكيننا على تلوثه واستهلاكه دون أن تكون لدينا الجرأة والشجاعة الكافية لتنظفه أو حتى نستبدله؟ وماذا يكون المستقبل إن لم يكن عن أحلام رومانسية تصطدم بواقعية الحياة لتعدل من نفسها وتكمل تلك المعافرة حتى تصل للهدف المنشود؟

وما هي الروايات إلا قصصًا نحكيها، ولغة نزينها، وعالمًا خفيًا لم يسبق لك الدخول فيه من قبل لتجد نفسك شاردًا، تملكك تلك الرواية وأخذتك من عالمك ومشاكلك وديناك بجوانبها السبعة، إلى عالم آخر بمشاكله ودينائه التي اشتركت معك في جوانب الحياة، واختلفت في صعوبة الأمر.. كيف تكون وتهون الحياة بحبيب يملأ علينا دنيانا بالحب في لحظة، وبالأمل في لحظات؟ وما هو شكل الحياة بدون ذلك المدعو «الحب» الذي يبحث عنه الجميع كالمتهم الهارب الذي لا تنغلق بدونه القضية، فهو القضية، وهو المتهم، وهو المجني عليه، بل وهو الحاكم والقاضي في كل ذلك؟ كيف تتسع الحياة وتفتح بابها على مصراعيه لأصدقاء أخذوا من الحنان والحب ما يفيض لنا؟ ليأخذونا إلى ذلك الاحتمال بأن الحياة قد تكون منصفة وعادلة، لوجودهم معنا، وكيف أن الموت لا يرحم، لا يرى، لا يسمع استغاثات وتوسل مذل من الجميع ألا يأخذ عزيزًا، ولا يؤلنا في فراق لا نقوى عليه، دون أن يعطينا سببًا واحدًا لأخذه كل الطيبين في عالمنا ليترك لنا من لا يعرفوا سوى القسوة والأنانية، أو على الأقل يعطينا دواء للنسيان ووخز القلب، والتفكير الذي ينهش في عقولنا ويأكلها دون رحمة، وكيف يظهر الأمل رغم كل ذلك، في محاولات عدة أن يندفع بين آلاف الطوابير من اليأس والبؤس وما تبعهما من اكتئاب، ليظهر أمامنا جليًا واضحًا مشوهًا بغبار اليأس، ملوثًا

بشوارع الاكتئاب وممرات الفراق ومفترقات الطرق، ليرتعش نوره مبتسماً في حب، لأنه مازال يستطيع الإنارة حتى الآن، وكيف أن الإنسان بيده القرار للحياة في زخم وصخب هذه الفوضى ومحاولته للتعايش معها وتعديلها قدر المستطاع، أو الموت، في نفس المكان الذي قد يحيا منه، ليجد نفسه أرضاً لا يقوى على النهوض، تحاوطه كلاب شرسة سميت بالاكتئاب، وذئاب التفكير التي حاصرتة ودارت حوله في استعداد للانقضاض على فريستها، وثعابين الهم والخذلان التي تتلوى بجانبه، تنظر لعينيه المفتوحة في خوف وذعر سيجعلان من دمه طعاماً ألد وأطيب من موته، وعن ذلك الأدرينالين الذي افترش دخانه غرفته ليشوه الرؤية، ويبدل الأقوال، ويعطي الفرصة الأكبر لكل الوحوش بافتراسه والهجوم عليه دون رحمة، فإن قاوم زادت رغبتهم فيه أكثر وأكثر لينتصروا عليه بشرف الحرب وينعموا بافتراسه ويتلذذوا بكل خلية فيه، وإن استسلم فهنيئاً لهم ضحية على طبق من فضة، ليس بها رائحة الشجاعة، لا شئ سوى الجبن والخذلان.. ليأتي الأمل ويفتح الباب على مصراعيه، فيختفي دخان الأدرينالين ويخرج مع الهواء بعيداً، فترى الوحوش بعضها البعض وتتشاجر على أسبقية افتراس ذلك المسكين الواقع أرضاً، لتقع المشاجرة بينها وتشغل قليلاً عن فريستها، ليمد لنا الأمل يديه في ضمان، على أن القادم من حياتنا ليس بسوء ما مضى، وأن هناك

متبقياً من العمر لتلك الحياة التي حلمنا بها وخفنا أن نحياها، لنخرج من ذلك السجن خلسة، نترك وحوشنا تتشاجر سوياً وننجو بأنفسنا، نغلق عليها الباب جميعاً بإحكام لا ينسل منه سوى ثعبان صغير رأى كل ذلك في مكر وتبعنا إلى الخارج، إلى عالمنا الآخر، لنحاط بهم أينما ذهبنا، وأينما رأيت عينانا الجنة بعينها متجسدة، سنجدده يحاوطنا، نحاول قتله فيمثل الموت في مشهد عظيم لا يشاركه فيه ذيله السام، لنحاول تقبل الأمر على وضعه هذا، وننطلق في حياة أخرى لا شيء فيها سوى الأمل، والحلم، وبعض من الهم الذي لا ينضب أبداً.

\*\*\*

## 20 مارس 2018

ككل تلك النهايات السعيدة، قررت أن أصنع لي واحدة، ليست بسعيدة ولكنها محايدة قد تأتي جدواها فيما بعد، كتبت على صفحتي التي تعدت الخمسين ألف مشارك، مستغلة سرعة ازدياد معجبيها فقلت:

- كل اللي أقدر أقوله إن هتيجي عليك لحظة كده هتزهق من حالك، وهتحاول تغير نفسك بأي طريقة، تغير الظروف أو تغير اللي حواليك، أو تغير طريقة حياتك كل يوم، المهم أن هيبجي عليك يوم وهتاخذ القرار ده، ساعتها بس الوجة هيهون، وهتشوف قدامك حلم مكتش حاطه في حساباتك، بس هيبقى هو كل حساباتك..

أنا كتبت رواية.

نشرته وتركت الرسائل تنهال عليّ في حب وإعجاب ممن لا أعرفهم على الإطلاق، ووجدتني أنظر لتلك الأجندة التي أعطتها لي سلمى بعد وفاتها وكانت سبباً في أن أكتب من البداية، تذكرت الأيام الماضية التي كنت أسهر فيها لأكتب ولا شيء سوى الكتابة، كنت أسرد وأحكي في حماس افتقدته بشدة ولم أنخيل أنني قد أملكه مرة أخرى، وكيف جمعت كل كتاباتي الفترة الماضية وكل الحوارات التي سردها لنفسي وكتبتها على صفحة (الموقف) التي بدلت اسمها لي مطابق اسم الرواية (مالم تحكه الروايات).. وذلك الحوار بين الولد والبنت اللذين كانا بطلي روايتي، أحكي عنهما وأختلق شخصياتهما كما يحلو لي، أتبع الخيوط لأضع الحبكات واللمسات الأخيرة، وفي شهرين كنت أنجزت أول رواية لي، شهرين من الألم الذي ولد شرارة حماس لم تنطفئ إلى نهاية الكتاب، ولم تنطفئ حتى بعد أن أنهيته، خاصة بعد تصفحي في رسائل لأجد رسالة جددت حماسي، بل ضاعفته إلى ما لا نهاية:

- مساء الخير أ.سارة.. أنا محمود مدير تسويق بدار نشر وحباب

أتكلم معاكم عن نشر روايتك

وهكذا تتجدد الطرق الذي افترقناها، لتنتفح طرق أخرى، مجهولة ولكنها تبدو مبهجة، مزينة، واسعة.. تماماً كأحلامنا.

\*\*\*

وفي أيام عدة، اتفقت مع والديّ على الذهاب معًا لدار النشر،  
لنتمم الاتفاقية ونمضي العقد، وخلال ساعات، أصبحت كاتبة..  
رسميًا.

ربما لا يكون العمل الأول لي بممتاز ولكنه على الأقل جيد، والأهم  
أنني ولأول مرة شعرت بأنني أمسك بدفة حياتي، أسير المركب في  
خفة وحب، أتوقف حيثما أريد، وأكمل طريقي متى استطعت، غير  
مكرثة بأمواج البحر وعثراته، مادمت أستطيع التجديف.

\*\*\*

## 1 أبريل 2018

عزيزتي مذكراتي، كم أهلكتك لعام واستهلكت أوراقك دون  
رحمة، وكم تحملتني أنت في غير اكتراث، وفتحت لي أبوابًا من الصبر  
ما كنت أراها لولا أن كتبت، ربما تباعدت في الأيام والشهور، وربما  
فرقتني الأحداث والحيوات الأخرى عن تلك الحياة التي حييتها  
بك، وربما ظننت أنني سألتزم يوميًا بزيارتك لأحكي لك عما حدث  
بيومي بكل تفصيلة ممكنة، ولكنني حنثت بوعدتي رغمًا عني لانشغالي  
في الحياة التي لم أعد أتحكم بمجراها أو مرساها، ولكن الأكيد أنك  
كنت شاهدة على كل هذا، ومن بين الحين والآخر، كنت أنت الأذن  
الصاغية المتاحة دائمًا لحكاياتي المملة قبل المثيرة، وربما كنت جمادًا لا

يشعر بشيء كما يزعمون، ولكنك احتويتني روحًا سكنت بداخلي  
واتسعت صفحاتك لكلما تي مهها كانت مؤلمة ومؤذية، ربما أنا دونك  
لا شيء، وربما نحن الاثنان دون الكتابة، نكرة.

تلك الكتابة التي أغوتني وأسرتني بعدما فقدت الأمل في كل  
شيء تقريبًا وها أنا ذا، أحتفل بكتابي الأول بشكر خاص لك، لأنك  
كنت ومازلت الباب الوحيد الذي استطعت فتحه للخروج من هذا  
السجن إلى الأبد.

\*\*\*

هكذا بدأت مقدمة لروايتي التي حملت اسم «ما لم تحكه  
الروايات»، وشرحت بها كيف أن الألم قد يدوم لأطول مما نتخيل  
حتى يترسخ بداخلنا معتقد بأن الحياة هي الألم وأن ليس هناك مكان  
للفرحة مجددًا، قد يستطيع البطل أحيانًا النجاة من الواقع بخيال  
الكاتب، فهل يستطيع الكاتب نفسه النجاة من خياله ورؤية الواقع  
بكل حيادية، فقط ليعيشه؟

\*\*\*

## 5 أبريل 2018

في هذا اليوم دعاني محمود - مدير التسويق في دار النشر وصديقي  
مؤخرًا - للعشاء في نفس اليوم الذي نشرت فيه روايتي وظهرت  
للناس، أصبحنا أصدقاء مؤخرًا.. وسرد لي كل شيء عن حياته، كما

فعلت أيضاً، وفي هذا اليوم بالتحديد سألني بشكل مفاجئ:

- احكي لي عن الحياة اللي تتعاش من غير حب!

كان محمود من النوع التحليلي، كثير الأسئلة، مستمعاً عظيماً، دائماً ما كان يأخذني إلى تلك المناطق التي يسألني فيها بشكل جريء وقوي عما أخفيه من ألم، كنت أحب طريقته هذه في الحديث فكان يمثل لي الصفحة البيضاء التي وضعت بها كلمة واحدة ملأتها بالتشويق والإثارة وأطلقت العنان لخيالي لأكملها بما يدور ببالي، لأبحث عن ألمي الخاص وأعبر عنه بكل صراحة:

- مادام بتسأل «بتتعاش» يبقى أعتقد إنك بتتكلم عن الحياة الحلوة

من غير الحب صح؟

هز لي رأسه في ابتسامة ووضع يده على خده مستمعاً، بينما قلت:

- الحب نتيجة للحياة مش العكس..

ارتشفت من عصير الليمون أمامي ونظرت للنيل الذي طلّت

عليه الطاولة خاصتنا بينما هو صامت ينتظر لأكمل النظرية:

- المفروض السؤال اللي يسأل يبقى احكي لي عن الحب اللي يتعاش

من غير حياة لأن الحب نتيجة مش سبب..

نظرت له مرة أخرى وأنا أقول بابتسامة حنين:

- أنت عارف؟ أنا جت عليّ فترة كنت حاسة إني من غير ما الحب

ييجي هموت، من غير ما أعجب بحد حتى لو بيني وبين نفسي أو

حد يعجب بيا ونجرب نرتبط كنت بحس إني فعلاً حياتي ملهاش  
طعم! بس أنت عارف إيه اللي خلاني أتخلى عن وجهة نظري؟  
نظر لي متسائلاً دون أن ينطق، فقلت:

- الوجد، سمعت زمان مقولة بتقول.. **«every thing has a price»** كل حاجة ليها تمن حتى الحب، إحنا لما بنختار نحب  
- وبقول نختار عشان إحنا بنقرر وقتها فعلاً - مش بس بنختار  
الشخص بكل عيوبه، إحنا بنختار الوجد والحب، الصدق والخيانة،  
الأم والأمل.. إحنا بنختار باقة الحب كلها على بعضها، وإحنا  
وحظنا بقي..

نظرت إلى كتابي الموضوع أمامي في فخر وأمسكت به لأشير إلى  
نقطتي:

- ويا إما الحب يخيب أملك فتدفع التمن وجمع وتعب ونكد،  
وتحاول تنتصر أو تنتظر..

وضعت الكتاب مرة أخرى لأقول بفلسفة:

- يا إما تلاقي القصة المناسبة ليك، قصة الأمير والأميرة،  
سندريلا، تايتنك، **the notebook** أيًا كان بقي.. لأنك في يوم  
ولو فعلاً الدنيا عادلة زي ما إحنا متخيلين، أنت لازم هتعيش القصة  
اللي حلمت بيها، لازم في يوم بعد كل الوجد اللي عشته هتلاقي حد  
يدفع تمنك.. وساعتها هتفتكر كل ده، وهتبسم.

قال بعد ابتسامة مطوّلة :

- يعني الحياة اللي تتعاش من غير حب هي الحياة اللي بنستنى فيها  
الحب!؟

قلت بأمل:

- الحياة هي إنك تعيش.. وتضحك.. وتحلم.. وتحاول.. as  
much as you can.. والحب يعني إنك تأمل في الحب ذاته من  
غير ما يكون في إيدك برهان أو دليل، ويبقى عندك إحساس مجنون  
بأنه في يوم، هيبجي حد.. ينفيلك كل معتقداتك وخبرتك في الحب،  
ويعرّفك على إحساس جديد.. مكنتش أبداً تتخيل إنك يوم تعيشه..  
قلت قبل أن أرتشف آخر نقطة عصير:  
- ولحد اليوم ده.. عيش.

\*\*

## 11 أبريل 2018

حببتي، أتذكّرني؟ أنا سارة.. سارة صلاح الخياري.. طالبة  
على وشك التخرج في كلية التقيت فيها بأعز من تملك، وأغلى من  
ذهب بلا رجعة، أنا تلك الفتاة المجنونة الطائشة التي كنت تحبينها  
كثيراً، تلك الفتاة التي عانيت معها في كل قصصها العاطفية الميؤوس  
منها، البنت الضعيفة التي كانت لا تستطيع فعل أي شيء دون  
تدخلك، تتلقى الضربات بين الحين والآخر ولا تفكر في صدها أو

ردها وتكتفي بكِ تفعلين هذا نيابة عنها، تدافعين عنها، وتحاولين حمايتها بكل ما أوتيتي من قوة، اليوم وقد فات أسبوع تقريباً على نشر أول رواية لي جئت إليك لأهديك نسختك الخاصة، موقعة من الكاتبة التي كنتِ أنتِ سبب إلهامها، وكنتِ سبباً في هذه الرواية من الأساس، أخذت الرواية صداها وأخذت طريقي أنا للشهرة وفي طريقي توقفت هنا، لأحادثك بفلسفتي الخاصة كما اعتدتِ مني دائماً، أعلم أنكِ كنتِ تنصفيني في كل الأوقات، أعلم أنني كنتِ مخطئة في أشياء كثيرة، ولكن.. ها أنا ذا طهرت أخطائي وذنوبي في تلك الرواية، ههههه لا تخافي ليست كئيبة كما تخيلتي دائماً، بل أكثر ههههههه.. افتقدتكِ كثيراً في تلك اللحظة التي وقعت بها عقد نشر كتابي لأول مرة، ولحظة إنهائي لرواية لا أعلم ماهيتها، لا أعلم سوى أنها تحمل رائحتك، الحقيقة أنني افتقدتكِ في كل لحظة، وسأفتقدكِ في لحظة تخرجي التي على وشك الاستعداد لها، لطالما تمنيت أن نتخرج سوياً ونحضر لمثل هذه الأيام.. لا.. لن أبكي أوعدك، ولكنني افتقدتك، لن أنساكي مهما تغيرت الحياة وتبدلت، ومهما طعنتني سأحاول المقاومة من أجلك يا سلمى، سأحاول مرات ومرات من أجلك يا حبيبتي، سآتي لكِ من حين لآخر لأخذ رأيك في تفاصيلي المملة، وأيامي التي أصبحت أكثر إثارة في الآونة الأخيرة.. بالمناسبة، أتعلمين محمود هذا الذي حدثك عنه، إنه مثقف ومحترم، وذو مبادئ

جذابة، لا لا.. لست معجبة به على الإطلاق، أنا فقط أحترم وجوده بجانبى وتشجيعه للدار التي يعمل بها على نشر كتابي، إنه صديق وأوعدك وسيظل صديقي الدائم.. سلمى.. هل هناك احتمال لأن أحب مرة أخرى؟ أعلم أنني قد أنرت بداخلي بعض ومضات الأمل ونسيت الماضي بكل ما عانيت فيه، خاصة بعدما علمت أن سيف هذا يعيش أسوأ أيام حياته في حب حقيقي وجاد مع فتاة لا تشعر حتى بوجوده، ولكن أتظنني قد أحب مرة أخرى بكل طاقتي؟ وهل سينيرني الحب أو سيطفئ ما تبقى بداخلي من نور؟ حدثتني رانيا البارحة عن علاقتها بأيمن، وكيف يجربها ويحاول إسعادها قدر الإمكان، أرايتي؟ إنها رانيا التي لم ترتبط منذ أكثر من خمس سنوات بعد تجربتها الأخيرة وتعافيتها منها، إنها الآن تجد الحب متعثرًا في طريقها ليسعدها ويملاً عليها غياب الأم والأب، ويحنو عليها لينير بداخلها ما أطفأه الموت، أتريني قد أحب يومًا رجلًا مثله؟ لا.. لا.. أتريني قد يحبني يومًا رجل مثله؟ أم أن كل هذه فلسفات لا قيمة لها، وأمل أتحايل به على نفسي لأهون عليها ما أصابها؟ عما نتحدث بالضبط يا سلمى، مبكرًا التحدث عن هذا الأمر الحتمي الذي لا مفر منه، فقط كلمي الله عني ليرفق بحالي، وأوعدك أنني سأخبرك على الفور في حال حدوث جديد، الآن هدية عيد ميلادك يا أميرتي الصغيرة، أرجو أن ينال كتابي إعجابك بحق، وليس كما تخبريني

كل مرة أن هذا رائع فقط لأنني صديقتك، سأفتقدك إلى حين زيارة أخرى.. تمنى لي التوفيق.

\*\*\*

## 10 أغسطس 2018

لم تكدر روايتي تظهر إلى النور حتى أنارت الطريق لنفسها ولمن يقرأها بحياة جديدة حملتها بداخل أوراق من الهم والاكئاب، فتكاثرت الرسائل الإيجابية نحو ما كتبتة فيها، خاصة بعد تغيري لاسم إلى «ما لم تحكه الروايات» فقط لأبقى على اتصال مع معجبيها، وبالفعل خلال أشهر كانت الرواية طريقاً في حد ذاتها، سلكه القراء لينيروا حياتهم هم بأيديهم دون مساعدة أو تدخل من أي أحد، وسرعان ما جنيت الشهرة التي طالما حلمت بها، وفي أشهر قصيرة لم أنتبه لها وجدنتي كاتبة مشهورة، أحاط بالكثير من الصحفيين والإعلاميين أينما ذهبت، والأهم من ذلك، هو هذا اليوم الذي تخرجت فيه من الكلية.. وازدادت الأيام سرعة غير مسبوقه، فنسيت كل ما ألمني للحظات، نسيت تلك الصفعات والضربات وكل ما أخذته مني الحياة، لأجد أحلامي تتحقق أمامي كل يوم، ازدادت اللقاءات التلفزيونية عن الفتاة العشرينية التي كادت أن تتخرج حتى نشرت أول كتاب لها لينجح وتشق طريقها قبل أن يبدها الكل، وجدنتي محاطة بأناس كنت قد نسيت أمرهم، زملاء الكلية، أقاربي،

وكل من عرفت على وجه البسيطة يشجعني ويدعمني أينما كنت، توقفت عن الثرثرة في تلك المذكرات، وضعت قلمي جانباً.. ها أنا قد انتهيت.. وسأتوقف عن الكتابة الآن.. ربما أعود لها من حين لآخر، ولكنني أعلم أن....

أخذت رشفة من كوب المياه أمامي ووضعتة في توتر جعلني أصمت للحظات، لأشاهد الحشد الذي أمامي، ينظرون لي في فخر وشغف، ابتسمت في حرج وارتعشت يداي كلما نظرت إلى تلك الجائزة التي وضعت على المنصة أمامي، وأضواء الكاميرات تلتقطني من كل اتجاه، نظرت في أول صف لأجد محمود جالساً يشير لي بضحك أن لا مجال للهرب.. أكملني ما بدأته، أمسكت بالكتاب مرة أخرى، لأستأنف ما أقرأه أمام مئات الأشخاص:

- ولكنني أعلم أن الكتابة في حد ذاتها علاج، وتعافٍ، أظهر نفسي بذلك الحبر، أنفَس عن همومي على ورق أبيض ناصع لم يتلوث بعد بحبر يبيلله البكاء، أطلق العنان لخيالي، وأكتب.. ولا أتوقف حتى أشعر بأن ذلك السم قد سرى من جسدي إلى ورقي لينسل إلى الحبر في شكل مصل واقٍ، يأخذه كل من يقرأ، فيبكي ويتألم، حتى يتعافى.. مع آخر ورقة، مع آخر نقطة حبر.

وضعت الكتاب مرة أخرى في انهيار ليدي التي أبت أن تحمله لأسمع تصفيقهم مدويًا في المسرح، وعيني تستغل الفرصة كالعادة

لتخبرني أنه قد جاء اليوم الذي بكيت فيه دون وجع، دون ألم، فقط فرحة زائدة ومبالغ بها، وقف الصف الأول يصفق بحرارة، أمسكت بالجائزة في فرحة وفخر، التقطتني الكاميرات من كل زاوية، رأيت أمي وأبي يبكيان في فرحة، وأمل، ومحمود ينظر لي بابتسامة محبة لا ينزعها، ورانيا وخطيبها فخوران بي، حاربت رعشة يدي لأمسك بالميكروفون مرة أخرى وأقول:

- أنا بس حابة أقول حاجة، أنا بهدي الجائزة دي لسلمي - الله يرحمها - زي السنة اللي فاتت في نفس الوقت ده أنا كنت واحدة تانية، بس سلمى كانت مصممة أبقى الشخصية اللي أنا عليها دلوقتي ..  
أتمنى تكون سامعاني وفخورة بيا ..

أعقب كلماتي تصفيق آخر مطول، ونظرة فخر في عين كل من رأي يومها أحقق حلمًا لم أكن أعلم أنه قد يكون طريقًا ومخرجًا مما عشته من ألم وضعف وحياة لا أستحقها، وعن ذلك الطريق الذي كان مطولاً، محملاً بالهم، مغطى بالحزن والكآبة .. لكنني قد وصلت لنهايته، مما يعني بداية جديدة، وعلى ذكر البداية الجديدة ..  
- سارة أنا بحبك ..

آاه من هذه الكلمة، ومن هذا الحب، ومن هذه الضحكة التي ضحكته بشكل تلقائي ومتالي لدرجة جعلت محمود يظن أنني أسخر منه، نظرت إليه في حب لم أعلم أنه بداخلي، أخفيت تلك

الدموع هذه المرة، شيء ما بداخلي عاد واستقر لمكانه، شيء ما كان ناقصًا وامتلاءً، شيء مريح لا يشوبه وجع، ولا يلوته خوف.. وبراءة شديدة..

- يلا نتجوز.



ذلك الإحساس بأن القادم أفضل، ليس في شكل حكمة نكتبها ونضحك عليها، وليس في شكل أمل مبالغ فيه بأن الحياة ستوقف عن صفعنا إلى الأبد وسنعيش جنة الله على الأرض، وإنما في شكل تقبل لعدالة الحياة، وإنصاف خالقها، بأن لكل دائن دينًا سيرده مهما طال الزمن، وأن لكل هم نهاية، ولكل مفترق مؤلم هناك بداية لطريق آخر، لا نعرفه ولكننا نؤمن به، كما نؤمن بأنفسنا أننا يومًا ما سنأخذ ما نستحقه وإن كان عظيمًا، وإن كان حقيرًا، وأن الحياة ليست فلسفة نكتبها في رواية لنقتبسها في واقعنا ونطبقها على أنها قاعدة، والسعادة ليست معادلة أو استنتاجًا أو حاصل ضرب جدول محفوظ من المقادير، وإنما هي تفكير عميق، وإدراك لكل المعاني الصغيرة وما يترتب عليها، وحب استطلاع لما قد تفاجئنا به الدنيا في اليوم التالي، وأن الماضي ما هو إلا حاضرنا الذي أبيننا أن يمر بسلام فاختلقنا القصص لنمكث فيه بكل استرخاء خوفًا من المستقبل الذي هو مجرد فكرة في عقولنا لا تمر بسلام أبدًا مادمنًا خائفين، وأن الخوف

ما هو إلا حماس وحب مغطى بغبار قذر لا نقوى على نظافته، وأننا نحن البشر، أروع الكائنات الحية، وأكثرها دقة وتحليلاً لكل الأمور، وأعظمها غباءً عند الاختيار، وأن الله.. يرى كل ذلك، يسمع كل هذا، ويصمت منتظراً لقرارنا النهائي، فإما أن نستسلم فيتركنا في خيبة أملنا دون مساعدة، وإما أن نحاول من جديد ليأخذ بيدنا وإن كانت المحاولة صغيرة حد السخف، ليرينا مناطق من النور ظهرت بداخلنا قد نبدأ بها طريقاً جديداً، لا ماضي فيه ولا حاضر، فقط مستقبل نؤمن أننا نستطيع تحقيقه، وحزن دفين يوقفنا أحياناً ويجررنا أحياناً أخرى، فننوقف عن محاولات النجاة، لنحيا.

نمنن بحمد الله  
سماح هشام

3 يناير 2018

## الفهرس

3	.....	مقدمة وإهداء
13	.....	1 - أول دروس الحياة أن تعيش
51	.....	2 - العقل السليم في القلب السليم
		3 - من أفسى خيارات الحياة: إما أن نعيش، أو أن
83	.....	نتعيش.. لا خيار للموت هنا.
		4 - لأولئك الذين غابوا رغم إصرارهم على البقاء..
109	.....	سلامً عليكم
		5 - ما كنت أبحث عنك، كنت أبحث عن نفسي
139	.....	داخلك..
175	.....	6 - ليت الحاضر يمضي، ليت الماضي يحذف للأبد
197	.....	7 - ما لم تحكه الروايات